# الدور الوطني للشباب
# في ضوء القرآن الكريم
## بحث في التفسير الموضوعي


إعداد الدكتور

**محسن عبد العظيم الشاذلي**

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات – مدينة السادات – جامعة الأزهر

# الدور الوطني للشباب في ضوء القرآن الكريم

محسن عبد العظيم الشاذلي
قسم التفسير وعلوم القرآن, كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالسادات , جامعة الأزهر , السادات , مصر .
البريد الإلكتروني : MohsenAl-shazly.33@azhar.edu.eg

**الملخص :**

يعد هذا البحث محاولة للإجابة عن عدة تساؤلات ، هي : ما مفهوم (الشباب)؟ ما مفهوم (الوطن)؟ وما قيمته في الإسلام؟ ما الصفات التي ينبغي توفرها في الشباب –خاصة– حتى يحقق للوطن نهضته؟ وما الدور الذي يمكن أن يقوم به الشباب –كما جاء في القرآن الكريم– في تحقيق نهضة الوطن؟ – ويهدف لتحقيق عدة أمور ، هي: التأصيل الشرعي لقيمة المواطنة والانتماء لدى الشباب ، والمساهمة في نهضة الوطن عن طريق بيان دور الشباب ، وتوعية الشباب بقيمتهم وتوضيح نظرة القرآن الكريم إليهم – بينت فيه حدود مرحلة الشباب ، وأهميتها ، ومفهوم الوطن وأهميته ، وأبرز الصفات التي ينبغي تربية النشء عليها ، ثم ذكرت نماذج قرآنية لمهمات وطنية قام بها الشباب – واتبعت فيه المنهج الاستقرائي، والتحليلي – وانتهيت فيه إلى عدة نتائج، أبرزها :أن مرحلة الشباب تبدأ من مرحلة الغلمة، وتمر بمرحلة البلوغ ومرحة القوة، وتستمر حتى مرحلة الفتوة ، وعظم دور الشباب تاريخيا ، وأن الإفادة من طاقات الشباب في شتى المجالات ، شرط أساسي للنهوض بالمجتمعات والأوطان . وأن (العلم والحلم والقوة والعفة والأمانة) صفات أساسية لابد من تأهيل الشباب عليها؛ حتى يضطلع بمهامه. وأن حاجة الوطن والأمة إلى عمل الشباب في كافة المجالات، وأن القرآن الكريم لم يقتصر على تسجيل مواقف للشباب فقط بل سجل مواقف ومهمات للفتيات كذلك ؛ مما ينبه على ضرورة إشراك المرأة بدور في نهضة الوطن ، وعظيم اهتمام القرآن بالشباب وتكليفهم بمهام عظام من أجل أمتهم ووطنهم.

**الكلمات المفتاحية :** الشباب– نماذج قرآنية– حدود الوطن– المهمة الوطنية – المؤهلات .

# he national role of youth in the light of the Holy Quran

## Research in objective interpretation

Mohsen Abdel Azim El Shazly
Department of Interpretation and Sciences of the Noble Qur'an ,College Islamic and Arabic Studies for Girls in Sadat City ,Alazhar University, , Egypt.
E-mail MohsenAl-shazly.33@azhar.edu.eg

**Abstract:**

This research is an attempt to answer several questions Her: What is the concept of (youth)? What is the concept of (home)? What is its value in Islam? What are the qualities that should be available in the youth - especially - in order for the country to achieve its renaissance? What is the role that youth can play - as mentioned in the Holy Qur'an - in achieving the nation's renaissance? It aims to achieve several things It is: the legal rooting of the value of citizenship and belonging among young people, Contribute to the nation's renaissance by defining the role of youth, Educating young people of their value, And clarify the view of the Holy Quran to them Showed the limits of the stage of youth, and its importance, And the concept of home and its importance, And the most prominent qualities that young people should be brought up on , Then I mentioned Quranic examples of national missions carried out by young people , It followed the inductive and analytical method It reached several results , Most notable : The stage of youth begins with the stage of a boyhood, passes through the stage of puberty and the joy of strength, and continues until the stage of adolescence, And the greatest role of youth historically, Diversity in the service of the country, Benefiting from the energies of youth in various fields is a prerequisite for the advancement of societies and countries , And that (knowledge, forbearance, strength, chastity and honesty) are basic qualities that young people must be qualified for , And that

the country and the nation need youth work in all fields , And that the Holy Qur’an was not limited to recording the positions of young men only, but also recorded the positions and tasks of girls as well , Which means the need to involve women in a role in the nation's renaissance , The great interest of the Qur’an in youth and entrusting them with great tasks for the sake of their nation and country.

**keywords** :Young adulthood , Quranic models , home borders , National Mission , Qualifications

## مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه وبعد

فلا شك أن الشباب في كل زمان ومكان هم عماد الأمم التي ترتكز عليها ، ووقودها الذي يذكي حماسها ، وروحها التي تقفز بخطواتها

وقد شغل الشباب –في عصرنا ومصرنا– جزءا كبيرا من اهتمام الدولة، فعقدت له المؤتمرات، وسخرت له شتى القنوات، وذللت له العقبات ؛ ليتطور ويطور ، ويجدد ويعمر في هذا الوطن الحبيب

ونظرا لأنه من الضروري أن تساير خطواتُ الأمم خطى الشرع ، حتى لا تكون الجهود المبذولة بلا أجر أخروي ؛ فقد استخرت الله ﷻ وكتبت في هذا البحث (الدور الوطني للشباب في ضوء آيات الكتاب )

**أسباب اختيار الموضوع :**

**وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب ، أبرزها :**

- أولا : توجه مؤسسات الدولة –وفي القلب منها المؤسسة الأزهرية العريقة– لإعلاء قيمة الوطن .
- ثانيا : خطورة مرحلة (الشباب) في حياة الإنسان ، وفي حياة المجتمعات بشكل عام .
- ثالثا : مواكبة خطى الدولة في رعاية الشباب ودعمه ماديا وعلميا وثقافيا.
- وكان الهدف من وراء ذلك كله يتلخص في :
- أولا : التأصيل الشرعي لقيمة المواطنة والانتماء لدى الشباب .
- ثانيا : المساهمة في نهضة الوطن عن طريق بيان دور الشباب .
- ثالثا : توعية الشباب بقيمتهم وتوضيح نظرة القرآن الكريم إليهم .

**إشكالية البحث :**

يحاول البحث الإجابة عن عدة تساؤلات ، هي :

- ما مفهوم (الشباب) ؟
- ما مفهوم (الوطن) ؟ وما قيمته في الإسلام ؟
- ما الصفات التي ينبغي توفرها في الشباب –خاصة– حتى يحقق للوطن نهضته ؟
- ما الدور الذي يمكن أن يقوم به الشباب –كما جاء في القرآن الكريم– في تحقيق نهضة الوطن ؟

**خطة البحث :**

جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

**المقدمة** تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع ، وإشكالية البحث ، وخطته، والخطوات المتبعة ،

**والمبحث الأول** عرضت فيه مطلبين :

- المطلب الأول : مفهوم الشباب ، وأهمية هذه المرحة من العمر، وكيف وردت في القرآن
- المطلب الثاني : قيمة الوطن في الإسلام

**المبحث الثاني** (مؤهلات الشباب للقيام بالدور الوطني في ضوء آيات القرآن الكريم) وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : العلم .

المطلب الثاني : الحلم .

المطلب الثالث : القوة .

المطلب الرابع : العفة .

المبحث الخامس : الأمانة

**المبحث الثالث** (مهمة الشباب الوطنية في ضوء آيات القرآن الكريم ) **وفيه مطلبان**

**المطلب الأول** : الشباب في قصة أهل الكهف .

**المطلب الثاني** : مهمات وطنية يحسنها الشباب ، وردت في القرآن الكريم .

ثم الخاتمة تناولت فيها أبرز نتائج البحث ، وتوصياته ، وفهارسه .

**وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي في تتبع آيات القرآن الكريم التي تناولت الحديث عن هذه المرحلة ، مقترنا بالمنهج التحليلي الاستنباطي في تحليل هذه النصوص واستخراج الفوائد منها ، كما راعيت أثناء البحث :**

- التعريف بمفردات العنوان من كتب اللغة ، وبيان مواطن ورودها في القرآن الكريم
- الاعتماد على آيات القرآن الكريم في عناصر الموضوع .
- الرجوع إلى كتب التفاسير واختيار الأقوال التي تتناسب مع عناصر الموضوع .
- عزو الآيات القرآنية في صلب البحث ذاكرا اسم السورة ورقم الآية .
- تخريج الأحاديث من كتب السنة ، مكتفيا بتخريجها من أحد الصحيحين إن وجد ، وإلا ذكرت مكانه وحكم أهل الفن عليه .
- نسبة الأقوال والأشعار إلى قائليها ، أو من نقل عنهم .
- تعمدت السكوت عن التراجم للأعلام والبلدان ؛ حرصا على عدم الإثقال على القارئ بأشياء ليست من صلب البحث .
- ذكرت في الحاشية الاسم الأشهر للكتاب ومؤلفه، وأثبت الجزء والصفحة، وأرجأت ذكر بيانات النسخة للفهرس في آخر البحث .

أسأل الله سبحانه السداد والتوفيق والقبول ، إنه خير مأمول وأكرم مسئول .

## المبحث الأول

## مفهوم الشباب وقيمة الوطن في الإسلام

**المطلب الأول : مفهوم الشباب :**

تعريف الشباب :

تدل مادة (ش ب ب) على عدة معان، منها (الاندفاع، والقوة، والحرارة، والارتفاع، والشهوة، والحسن، والتمام ) وقد جاءت كل هذه المعاني في كتب اللغة، على النحو الآتي :

- **الاندفاع** : "الشؤبوب: الدفعة من المطر، وحد كل شئ، وشدة دفعه "
- القوة : "وقدح شابّ: حديد كما قالوا في ضده: قدح هرم "
- الحرارة : " و شَبَّ النار والحرب: أوقدها ، وبابه :رد ، وشُبوباً أيضا بضم الشين والشَّبُوبُ بالفتح ما تُوقد به النار " وشدة حر الشمس، وطريقتها .
- الارتفاع : "وشبت النار، وشبت شبا وشبوبا،–أي ارتفع لهيبها– والفرس يشب ويشب شبابا، بالكسر، وشبيبا وشبوبا: رفع يديه " قلت : ولعله إشارة إلى طول القامة، "والفرس تجوز رجلاه يديه"
- الشهوة : ومنه التشبيب: النسيب بالنساء. والشباب، بالكسر: النشاط،
- الحُسْن : "وشَبَّ لَوْنَ المرأَةِ خِمارٌ أَسْوَدُ لَبِسَتْه أَي زاد في بياضِها ولونها فحَسَّنَها ،لأَنَّ الضدّ يزيد في ضدّه ويُبْدي ما خَفِيَ منه " والشبوب: المحسن للشئ، ، وما توقد به النار

- التمام : "الشَّبَبُ : المُسِنُّ من ثِيرانِ الوحشِ الذي انتهى أَسنانه ، وقال أَبو عبيدة الشَّبَبُ الثَّوْرُ الذي انتهى شَباباً وقيل هو الذي انتهى تمامُه وذَكاؤُه منها ، ونسوة شبائب: شواب. وشبشب: تمم " . (١)

وكل هذه المعاني لا تكاد تجتمع إلا في الشباب ، ففيها –في هذه المرحلة– يكون الاندفاع، والقوة، والنشاط ، والجسامة ، والشهوة ، والحسن ، والتمام .

وخليق بمن اجتمعت فيه كل هذه الأمور أن يكون محل رعاية القرآن واهتمامه، إذ عليه –لو صح إعداده– تُبنَى الحضارة، وتَنهض الأمم، وتُحفظ الثغور، لذلك حفلت آيات القرآن بالحديث عن هذه الفئة منذ بداياتها، وحملت في أثنائها المعالم الأساسية المطلوبة في الشباب؛ لتتم استفادة الأوطان من هذه الفئة ، وهذا ما سنبينه في النقطة التالية .

**أهمية هذه المرحلة من العمر**

يتجلى هذا الأمر بوضوح من تتبع التعبير القرآني عن هذه المرحلة العمرية ، وأقوال المفسرين فيها ، ويمكن تقسيم ما ورد بخصوصها في القرآن الكريم إلى عدة مراحل :

**أولا : مرحلة الغَلَمة ، او الغُلْمَة** (٢) .

تعد هذه المرحلةُ التمهيدَ لمرحلة الشباب ، إذ فيها يتجاوز الانسان مرحلة الطفولة ، وفيها تغلب عليه شهوته ، وتظهر عليه بعض علامات البلوغ دون الاحتلام، فيكون على أعتاب مرحلة الشباب ، ويؤكد هذا ما جاء في كتب اللغة حول هذه المادة .

قال الكسائي : الاغتلام أن يتجاوز الإنسان حد ما أمر به من الخير والمباح " (١)

(١) ينظر في هذا : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣/ ٣٥٨) مادة الشين وَالْبَاء، مختار الصحاح لمحمد الرازي مادة ش ب ب (ص: ٣٥٤) ، القاموس المحيط للفيروز آبادي فصل الشين (١/ ٢٦٦) ، لسان العرب لابن منظور باب الباء فصل الشين (١/ ٤٨٠) .

(٢) انظر : لسان العرب مادة (غلم) باب الميم فصل الغين .

وقال الزبيدي : "واغْتَلَمَ إذا هَاجَ من الشَّهْوَةِ . وفي المُحْكَمِ : إذا غُلِبَ شَهْوَةً" [٢]

قال ابن فارس : "الغين واللام والميم أصل صحيح يدل على حداثة وهيج شهوة"[٣]

وللأزهري : "وهو التَّامّ دون المُحْتَلِم" [٤] ؛ لذلك حرص القرآن الكريم على تقييد (الغلام) بأوصاف صالحة؛ تؤهلهم ليكونوا شبابا نافعين لأسرهم ومجتمعاتهم ، ومن تلك الأوصاف : (العلم، الحلم ، الزكاة) ولعل الأوصاف الثلاثة إشارات لمجامع الشخصية السوية ، (فالعلم) تنمية للعقل ليرتقي بنفسه ويحصل كل ما هو نافع، (والحلم) سيد الأخلاق ، فهوتهذيب للسلوك ليستطيع التعامل مع الناس على اختلاف طباعهم ، (والزكاة) تطهير النفس لتصل لمرحلة التقوى ، **قال ﷻ ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾** [الحجر: ٥٣] **وقال ﷻ ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾** {الذاريات : ٢٨}.

جاء في البحر : "بَشَّرُوهُ بِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ ذَكَرٌ. وَالثَّانِي: وَصَفَهُ بِالْعِلْمِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ ، فَقِيلَ: النُّبُوَّةُ كَقَوْلِهِ ﷻ ﴿وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا ﴾ وَقِيلَ: عَلِيمٌ بِالدِّينِ" [٥] وفي البيضاوي : " عَلِيمٍ إذا بلغ " [٦]. "

قال القشيري : " (لا تَوْجَل ) فليس لك موضع للوجل، لكن :موضع للفرج فإنا جئناك مبشّرين، .... نحن «نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ»: أي يعيش حتى يعلم، لأن الطفل ليس من أهل العلم" [١]

---

(١) «تهذيب اللغة» للأزهري ، مادة (غ ل م) أبواب الغين واللام (٨/ ١٣٦) ، لسان العرب (١٢/ ٤٣٩) ولعل الجزء الأول من هذا الوصف (أن يتجاوز الإنسان ..) يدل على حقيقة هذه المرحلة فتوصف بأنها مجاوزة حد الطفولة والانتقال لمرحلة عمرية تالية.

(٢) تاج العروس للزبيدي ، مادة غ ل م (٣٣/ ١٧٥) .

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس [بَابُ الْغَيْنِ وَاللَّامِ وَمَا يَثْلِثُهُمَا] (٤/ ٣٨٧) .

(٤) نقله الأزهري عن أبي تراب ، انظر : تهذيب اللغة للأزهري مادة (كدر )(٣/ ٣٤٠).

(٥) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٦/ ٤٨٥).

(٦) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢١٣) .

على أن مجيء (الغلام) مقيدا (بالعلم) –دون غيره من الصفات– مرتين، يشير إلى أهمية العلم، وضرورة الاهتمام بالجانب العلمي لدى الشباب، وما ذلك –في رأيي– إلا لأن العلم ينفع صاحبه وينفع الناس من حوله، بعكس (الحلم والتزكية) الذي يقتصر نفعهما على جهة واحدة .

**وقال ﷻ** ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ﴾ {الصافات : ١٠١} «الحليمُ: الذي لا يعجل في الأمور قبل وقتها مع القدرة عليها. (وعكسه) : الخفيف بأن من شأنه أن يفعل الشيء قبل حينه» [٢] أي : «يصير حليمًا إذا بلغ مبلغ الامتحان بالأعمال والأمر والنهي، أي: بشرناه بغلام حليم يحلم فيما امتحن إذا بلغ مبلغًا يمتحن فيه، قال قتادة: " إن اللَّه – عَزَّ وَجَلَّ – لم يذكر أحدا ولا وصفه بالحلم سوى إبراهيم وولده الذي بشر به » [٣]

وقد جاء –في الجمع بين هاتين الصفتين– أن " الحلم: هو الذي ينفي عن صاحبه كل أخلاق دنية، والعلم: هو الذي يدعو صاحبه إلى كل خلق رفيع؛ ليعلم أنه اجتمع فيه جميع الخصال الرفيعة، ونفى عنه كل خلق دنيء" [٤]، وهذا التوجيه أولى مما قاله بعض المفسرين «يعني: حليم في صغره، عليم في كبره» [٥] ؛ إذ إنه لا دليل على تخصيص أي من الصفتين بزمان معين، ولعل مجيء البشارة بالحلم بعد دعوة سيدنا إبراهيم ﴿ رب هب لي من الصالحين ﴾ يشير إلى أن صفة الحلم من الصفات الأساسية التي تقوم عليها الشخصية السوية ؛ ولعل ذلك سبب مدح النبي ﷺ

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٢/ ٢٧٥) قلت : ولا يخفى ما في كلامه رحمه الله من إجمال ، وبيانه : إن كان قصده أن الغلام ليس من أهل التكليف بالعلم ، أو ليس من أهل أداء العلم فنعم ، أما إن كان مراده أن الغلام ليس من أهل الطلب أو ليس من أهل التحمل فلا .
(٢) تفسير ابن فورك» (٢/ ٢٣٦) وما بين القوسين ليس في الأصل .
(٣) «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٧٧).
(٤) في تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة. (٤٤٨/٦ )
(٥) «تفسير السمرقندي = بحر العلوم» (٣/ ١٤٧):

لها ، فقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال لأشج عَبْدِ الْقَيْسِ: " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ "» [١] .

**وقال ﷻ ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾** «والغلام الزكي: هو الطاهر من الذنوب» [٢] وهذا الوصف يشير إلى طهارة نفس ذلك الغلام (وهو هنا عيسى عليه السلام ) ؛ ولعل ذلك استجابة من الله ﷻ لدعوة امرأة عمران حين قالت : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فإذا كانت مهمة الشيطان تلويث النفوس بالمعاصي ، وإسقاطها في وحل الذنوب ، فإن الله ﷻ قد حفظ هذا الغلام من هذا الأمر ، يؤكد ذلك ما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ» ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [٣] ، وهذا القيد للغلام يستفاد منه أمران ، الأول : ضرورة تقوية الوازع النفسي في قلب كل غلام حتى يكره الشيطان وطرقه ، والثاني : ضرورة ربط الولد في هذه المرحلة بربه ﷻ حتى يحفظه –إذا كبر– من الزلل؛ فينشأ سويّ النفس لا سلطان للشيطان عليه، كما قال ﷻ ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾.

**تتمة لما سبق :**

قال الزركشي – قاعدة في الإطلاق والتقييد– : «وَالضَّابِطُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إذَا حَكَمَ فِي شَيْءٍ بِصِفَةٍ أَوْ شَرْطٍ ثُمَّ وَرَدَ حُكْمٌ آخَرُ مُطْلَقًا نُظِرَ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ يُرَدُّ إلَيْهِ إلَّا ذَلِكَ الْحُكْمَ الْمُقَيَّدَ وَجَبَ تَقْيِيدُهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَصْلٌ غَيْرُهُ لَمْ يَكُنْ رَدُّهُ إلَى أَحَدِهِمَا بِأَوْلَى مِنَ الْآخَرِ» [٤] وبتطبيق هذه القاعدة على كلمة (الغلام) في هذه الآيات ، نفهم

(١) صحيح مسلم» كتاب الإيمان بَاب الأَمْرِ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ (١/ ٤٨ ت عبد الباقي) .
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (١٥/ ٤٨٨)
(٣) «صحيح مسلم» كتاب الفضائل بَاب فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام (٤/ ١٨٣٨ ت عبد الباقي)
(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ١٥)

أن تقييد الغلام بقيد واحد من هذه القيود أمر غير سديد ، وأنه لا مانع من الجمع بين كل هذه القيود ، بل هو الأولى، فتأهيل الشاب من صغره على أن يحب العلم ، ويتدرب على الحلم ، ويجتهد في تطهير نفسه ، يجعل منه شابا سويا صالحا ينفع بيته ومجتمعه ووطنه وأمته .

**ثانيا : مرحلة (البلوغ) ..**

وكما جاء (الغلام) مقيدا بعدة قيود ، جاء البلوغ مقترنا بعدة أوصاف ، فقد أورد القرآن الكريم مصطلح (البلوغ) مقيدا بالحُلُم ، وبالسعي ، وبالنكاح ، وبالأشُد ، وذلك في آيات عدة ، نتناولها في السطور الآتية :

**أولا : بلوغ الحُلُم :**

قال ﷻ في سورة النور: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ وقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [٥٨، ٥٩]

وهو تعبير يستفاد منه وجوب تعويد الشباب في بداية هذه المرحلة على الالتزام بالآداب المنزلية، إذ إن المنزل صورة مصغرة للمجتمع الخارجي ، فتعود الشاب على الالتزام بالآداب والسلوكيات داخل بيته يعود أثره على المجتمع وسلوكه فيه . ويصدق ذلك ما جاء في السنة الصحيحة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا» (١)

**ثانيا: بلوغ السعي :**

قال ﷻ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: ١٠٢] وهذه المرحلة –في نظري– أوفق أن تكون المرحلة

(١) موطأ مالك - رواية يحيى» كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ ، بَابُ الِاسْتِئْذَانِ (٢/ ٩٦٣ ت عبد الباقي).

الثانية ، لما جاء في تفسيرها ، «تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ: أَدْرَكَ سَعْيُهُ سَعْيَ إِبْرَاهِيمَ فِي الشَّدِّ وَشَبَّ. وَتَفْسِيرُ الْحَسَنِ: بَلَغَ مَعَهُ سَعْيَ الْعَمَلِ، يَعْنِي: قِيَامَ الْحُجَّةِ» [١] فالتعبير بها يشير إلى أن الشاب إذا بلغ فلا يصح أن يخلو من عمل يتكسب منه ، فينفع نفسه ووطنه ، فإن العمل شرف ، وكفاف النفس عن السؤال واجب .

وفيه معنى آخر أن السعي هنا بمعنى العمل الذي يتقرب به إلى ربه ﷻ ، كما قال ﷻ ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ وقال ﷻ ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ ، والمعنيان صحيحان، وقد بوب البخاري في كتاب البيوع باب (بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ) وأورد تحته حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ ﴿ لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ ﴾ [٢]

**ثالثا : بلوغ النكاح :**

قال ﷻ : ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦]

وهو تعبير يفهم منه أن التعجيل بالنكاح للشباب (إذا بلغ الحلم ، واستطاع أن يكسب من سعيه) أولى وأفضل ؛ لأنه وسيلة لعفة الشباب وتحصين فروجهم ، وبالتالي تحقيق الاستقرار النفسي لهم ، يصدق ذلك قوله ﷺ ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ ﴾ [٣] قال ابن بطال : «ندب النبى ﷺ لأمته النكاح، ليكونوا على كمال من أمر دينهم، وصيانة لأنفسهم فى غض أبصارهم» [٤]

(١) تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٨٣٨) .
(٢) صحيح البخاري» كِتَابُ الْبُيُوعِ بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ (٣/ ٥٧ ط السلطانية).
(٣) صحيح البخاري» كِتَابُ الصَّوْمِ بَابُ الصَّوْمِ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْعُزُوبَةَ (٣/ ٢٦ ط السلطانية).
(٤) شرح صحيح البخارى لابن بطال» (٤/ ٢٥).

** واختلاف التعبير (بلوغ الحلم ، وبلوغ السعي ، وبلوغ النكاح) يشير إلى أن هناك فرقا بينها..

فالأول (بلوغ الحلم) إشارة إلى أن الشاب أو الفتاة صار محل التكليف بالأوامر الشرعية بمجرد دخوله لهذه المرحلة ، يصدق ذلك قوله ﷺ ﴿ رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ المَعْتُوهِ حَتَّى يَبْرَأَ﴾ [١] فقوله ﷺ (حتى يبلغ) أي : يبلغ الحلم .

أما الثاني (بلوغ السعي) فهو تنبيه للشاب أن هذه المرحلة من حياته هي مرحلة العمل ، ومن ثم توجيه له بضرورة الاجتهاد بنفسه لكسب دنياه وآخرته ،

أما الثالث (بلوغ النكاح) فهو إشارة إلى اكتمال الحالة الجسمانية بما يصلح معها الزواج وتكوين الأسرة ، وإليه يشير قوله ﷺ السابق ذكره (من استطاع منكم الباءة) ، قال القرطبي: «أصل الباءة في اللغة: المنزل، ثم قيل لعقد النكاح (باءة)؛ لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً. والباءة هاهنا التزويج، وقد يسمى الجماع نفسه باءة. وليس المرادُ بالذي وقع في الحديث على ظاهره الجماع لأنه قال: "ومن لم يستطع فعليه بالصوم" ولو كان غير مستطيع للجماع لم يكن له حاجة إلى الصوم» [٢] وعليه فيمكن القول أن كل من بلغ النكاح فقد بلغ السعي بداهة ، وكل من بلغ السعي فقد بلغ الحلم بداية ، فبلوغ الحلم أسبق في الوجود ، وبلوغ النكاح أعم في المعنى.

**رابعا : بلوغ الأشد :**

وهذا التعبير عن مرحلة الشباب أعم القيود الأربعة دلالة ، وأعلاها ،

**أما أنه أعمها** ، فذلك أنه ينوب عنها كلها ، ولا ينوب أحدها عنه ،

(١) حديث صحيح : سنن أبي داود كِتَاب الْحُدُودِ بَابٌ فِي الْمَجْنُونِ يَسْرِقُ أَوْ يُصِيبُ حَدًّا (٤/ ١٤١ ت محيي الدين عبد الحميد) .
(٢) المعلم بفوائد مسلم للمازري (٢/ ١٢٩) باختصار.

يدل لذلك قوله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ [الحج: ٥] وقوله ﷻ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾ [غافر: ٦٧] فقد انتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب ، وعبر عنها ب(بلوغ الأشد)

كما أن قوله ﷻ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢] لا يقصد به مجرد بلوغ الحلم ، بل لابد من توفر القدرة على تصريف أموره ، وحفظ أمواله فهي شاملة لبلوغ الحلم وبلوغ السعي كذلك ،

**وأما أنه أعلاها** فيدل لذلك قوله ﷻ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢] وقال ﷻ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص: ١٤] ومعلوم أن إيتاء النبوة –المعبر عنها بالحكمة والعلم– لا تكون في بداية مرحلة الشباب، إنما تكون في الغالب في سن الأربعين، وهذا هو المشهور في عمر الأنبياء حين البعثة، «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَرْسَلَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا شَابًّا. ثُمَّ قَرَأَ:" سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ"» [(١)].

وكذلك قوله ﷻ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥] فيه إشارة إلى (سن الإنسان ) حين بلوغ الأشد وهو (أربعون سنة) وهو قمة مرحلة الشباب.

يقول العلامة ابن عاشور –مؤكدا هذا المعنى– : «وَالْأَشُدُّ: سِنُّ الْفُتُوَّةِ وَاسْتِجْمَاعِ الْقُوَى»[(٢)]

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ، انظر : تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ٢٩٩) .
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/ ٢٠١).

" ولا يكون –أي الأشد– إلا على حال من العمر، يحسن في الضبط والتدبير، والإحكام للأمور، والفهم للخطاب، وتحقيق مقادير الأمور، وهذا بِجَرْي العادة: إنما ابتداؤه عند البلوغ أو قبل البلوغ، ثم يستحكم إلى الغاية التي إليها انتهاء تمام القوة واستحكام العقل، وتلك الأربعون، وعلى رأس الأربعين سنة بعث الله نبينا محمداً ﷺ» [١]

**ثالثا : مرحلة القوة**

قال ﷻ : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] أجمع المفسرون أن المراد ب(القوة) هنا : الشباب ، وأنه متوسط بين مرحلتي ضعف ، الطفولة والشيخوخة [٢] وكأن حياة الإنسان لو أريد تمثيلها في القوة والعلم بخط بياني لكان أعلاه –في هاتين الصفتين– مرحلة الشباب، وطرفاه الطفولة والشيخوخة،

والتعبير بالقوة هنا –وكذا التعبير بالضعف– مطلق، غير مقيد بمجال معين ، فيشمل قوة الجسد، وقوة العلم، وقوة المعتقد، يدل لهذا أيضا قول الله ﷻ ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾ «{ومن نعمره} فنمد له في العمر {ننكسه في الخلق} نرده إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر، وذلك هو النكس في الخلق، فيصير لا يعلم شيئا بعد العلم الذي كان يعلمه» [٣].

والقرآن الكريم صرح بهذا في قوله تعالى ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل:٧٠] وفي قوله ﷻ ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ فمنطوقهما : أنه كان –في المرحلة العمرية السابقة– يعلم ، ثم لما طال به العمر –حتى بلغ أرذله– صار لا يعلم، ومعلوم أن المرء لا يولد عالما ، ولا يحصل

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل» لابن الزبير الغرناطي (٢/ ٢٦٧).
(٢) انظر : تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٦٦٧) ، وجامع البيان للطبري ط دار التربية والتراث (٢٠/ ١١٨) ، و معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٩١) ، و تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ١٨) وغيرها .
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (١٩/ ٤٧٨) .

العلم –في الغالب– في مرحلة الشيخوخة ، فلم يبق إلا مرحلة الشباب التي يطلب فيها المرء العلم ويتعب في تحصيله حتى يقوى فيه .

**رابعا : مرحلة الفتوة** [١]

«الفَتى: الشابُّ. والفتاةُ: الشابَّة. وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتى فتًى، فهو فتئ السن بين الفتاء. وقد ولد له في فتاءِ سنه أولاد» [٢] و«الْفُتُوَّةُ: اسْمٌ مَبْنِيٌّ مِنَ الْفَتَاءِ، وَيُقَالُ تَفَتَّى الرَّجُلُ، أَيْ تَشَبَّهَ بِالْفِتْيَانِ. وَيُقَالُ: لِفُلَانٍ بِنْتٌ قَدْ تَفَتَّتْ، أَيْ تَشَبَّهَتْ بِالْفَتَيَاتِ، وَهِيَ أَصْغَرُهُنَّ، وَقَدْ فُتِيَتْ، أَيْ مُنِعَتْ مِنَ اللَّعِبِ مَعَ الصِّبْيَانِ وَالْعَدْوِ، وَسُتِرَتْ فِي الْبَيْتِ» [٣] وتعد مرحلة الفتوة تاج مراحل الشباب وذروتها ، فمصطلح (الفتوة) يشير إلى نوع من التميز على الأقران ، ونوع من النضج ، «واستعمل الفتى فيمن كملت فضائله، ومكارمه، كما قالوا: لا فتًى إلا علي» [٤] كما نلمح فيه شيئا من القوة المنضبطة بالعقل ، وكأنها تطور طبيعي للمراحل السابقة، ولعلنا نلمح شبها في الأصل بين هذه الكلمة (الفتوة) وبين (الفتوى) التي تدل على قوة في العلم ،منضبطة بالفهم السليم للدليل، والإلمام بالقواعد . وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في الدلالة على هذه المعاني ،

قال ﷻ ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ [يوسف: ٦٢] فهم يتلقون الأمر –المشتمل على حيلة– من سيدهم ، وينفذونه كما يريد ، وفي ذلك من الحكمة والعقل ما لا يخفى .

---

(١) الفتوة: اصطلاح من اصطلاحات المتصوفة، ولهم فيها عدة تعريفات وترد في كلام متقدمي وكبار الصوفية، كالجنيد والقشيري وغيرهما ، ولأبي عبد الرحمن السلمي كتاب اسمه (الفتوة) ، وهذا المعنى غير مراد هنا ، فكان لا بد من التنبيه على ذلك .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية فصل الفاء (٦/ ٢٤٥١) .

(٣) الدلائل في غريب الحديث لقاسم السرقسطي (٢/ ٨٥٦) باختصار.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٥/ ٥٥٤).

قال ﷻ ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ وقال ﷻ ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف١٣]

وهؤلاء جماعة من الشباب تدبروا أمر قومهم وما هم عليه، فوجدوا أن قومهم على باطل، لكن ليس من الحكمة أن يجابهوا قومهم وهم قلة وقومهم كثر ، فاختاروا أن يعتزلوا قومهم ويعبدوا ربهم في كهفهم ، وهذا سلوك يدل على الانضباط وحسن التصرف .

قال ﷻ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٠] والمراد ب (يَذْكُرُهُمْ) –كما في التفاسير– : " يَعِيبُهُمْ وَيَسُبُّهُمْ» [(١)] وهذا اعتراف منهم بأنه عليه السلام كان يحاورهم في أمر آلهتهم ويحجهم فيها ويعلن عداوته لها ، وفي هذا من النضج العقلي والحكمة ما لا يخفى .

فهذا التنوع والتقسيم في المصطلحات الدالة على هذه المرحلة –مرحلة الشباب–، مع كثرتها ، وغزارة معانيها، وقوتها ، ودقة أوصافها المتعلقة بها ، يدل على أهمية هذه المرحلة في حياة الفرد ، وأهمية هذه الفئة في حياة الأمم ونهضة الأوطان .

**المطلب الثاني : الوطن**

**** مفهوم الوطن وحدوده :**

الوَطَنُ: مَوْطِنُ الإنسان ومَحَلُّهُ. وأوطانُ الأغنام: مَرابضُها التي تأوي إليها، ويُقال: أَوْطَنَ فلانٌ أرضَ كذا، أي: اتّخذها مَحَلاً ومَسْكَناً يُقِيمُ بها ، قال رؤبة :

**حتّى رَأَى أَهْلُ العِراقِ أَنَّني ... أَوْطَنْتُ أرضا لم تكُنْ من وَطني**

(١) انظر : «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٣/ ٣٩٦) ، تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ٢٩٨) ، «تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (٢/ ٤٠٩) .

والمَوْطِنُ: كلّ مكان قام به الإنسانُ لأمرٍ. وواطنتُ فُلاناً على هذا الأمر، أي: جعلتما في أَنْفُسِكما أن تعملاه وتفعلاه، فإذا أردت وافَقْتُهُ قلتَ: واطَأْتُهُ. وتقول: وَطَّنْتُ نفسي على الأَمْر فتَوَطَّنَتْ، أي: حملتها عليه فَذَلَّتْ، قال كثيّر:

وقلتُ لها : يا عَزُّ كلُّ مُصِيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ [١] [٢]

«وَجمع الوَطَن أوطان. والمثل السائر: لَوْلَا الوَطَنُ لَخَرِبَ البلدُ السَّوْدُ. والمَوْطِن: مَوضِع الوَطَن.)» [٣]

وفي التعريفات : «الوطن الأصلي: هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه. ووطن الإقامة: موضع يُنوى أن يُستَقِرَّ فيه خمسة عشر يومًا أو أكثر من غير أن يتخذه مسكنًا» [٤] .

«والمَوْطِنُ: المشهدُ من مشاهد الحرب. قال تعالى ﴿ لقد نَصَرَكُم الله في مَواطِنَ كثيرةٍ ﴾ [٥]

وقد وردت ألفاظ في اللغة لها تعلق ببيان معنى الوطن ، ومنها :

- الاجتِوَاء : "النزاعُ إِلَى الوَطن، وكراهَةُ الْمَكَان الَّذِي أَنْت بِهِ وَإِن كنتَ فِي نِعمة» [٦]
- الغُرْبَةُ: "الاغْتِرابُ من الوَطَنِ» [٧] «الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس،إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل»[٨]

(١) البيت من قصيدة كثير التائية ، انظر : أمالي القالي لأبي علي القالي (٢/ ١٠٨) .
(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ، باب الطاء والنون (٧/ ٤٥٤).
(٣) جمهرة اللغة لابن دريد (بَاب الطَّاء وَالنُّون) (مَعَ مَا بعدهمَا من الْحُرُوف) (٢/ ٩٢٨).
(٤) التعريفات للشريف الجرجاني (ص٢٥٣).
(٥) الصحاح في اللغة والعلوم لأبي نصر الجوهري (ص٥٧٧٣).
(٦) تهذيب اللغة (١١/ ١٥٦)
(٧) المحيط في اللغة (١/ ٤١٠)
(٨) غريب الحديث - الخطابي» (١/ ٧٠)

- الهجرة: "هي ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام» [١] ، وفي تفسير السمعاني : « هِيَ الْخُرُوج من الوطن إِلَى غَيره» [٢]
- النفر : «وأصل النَّفْرِ: مفارقة الوطن لأمر هاج على ذلك» [٣]
- السفر :«اسم السفر في اللغة يشمل أيّ خروج من الوطن ولو مدَّة **ساعة»**[٤] **ساعة»**[٤]

فمن ليس في وطنه فهو (مجتو ، غريب ، مهاجر ، مسافر ، نافر ) !!!

حتى إن بعض المفسرين جعل السفر –الذي تقصر به الصلاة– في مقابل الطمأنينة !!

قال الواحدي في قوله ﷻ ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ الأصح في معنى الطمأنينة : " المقام في (البلد) وزوال حركة السفر، وهو قول ابن عباس، قال: {فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ} يريد في أهليكم {فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} يعني أتموها .ونحو هذا قال الحسن ومجاهد ، أن معنى الطمأنينة ههنا الرجوع إلى الوطن في دار الإقامة» [٥]

كما فسر بعضهم (الفتنة) –التي هي أشد من القتل– بأنها الإخراج من الوطن!!

قال الزمخشري : «(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ) أى المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل. وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت، جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت. ومنه قول القائل:

لَقَتْلٌ بِحَدِّ السَّيْفِ أَهْوَنُ مَوْقِعاً ... عَلى النَّفْسِ مِنْ قَتْلٍ بحَدِّ فِرَاقِ» [٦] [٧]

(١) التعريفات (ص٢٥٦)
(٢) تفسير السمعاني (٢/ ٢٨١)
(٣) لباب التفاسير للكرماني (ص٥٩٠)
(٤) درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني عبد القاهر ط الحكمة (١/ ٣٤٨)
(٥) التفسير البسيط للواحدي (٧/ ٦٣)
(٦) البيت ذكره عبد القادر البغدادي في شرح ابيات مغني اللبيب وقال : «والبيت مشهور في كتب النحو، ولم يعرف قائله والله أعلم» شرح أبيات مغني اللبيب» (٥/ ٩٤) ، ولم أقف كذلك عليه .
(٧) تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» (١/ ٢٣٦).

وقال في قوله ﷻ ﴿ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ : «(الَّذِينَ صَبَرُوا) أى: صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب، فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم، وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله» (١)

**حدود الوطن :**

لابد من التأكيد على أن الوطن وطنان .. وطن له حدود جغرافية ثابتة يرتبط به الجسد قبل القلب، ووطن لا يعترف بحدود ولا فروق ، يرتبط به القلب قبل الجسد ، الأول يحمل اسم إقليم والآخر يحمل اسم الإسلام ،

والإسلام أوجب للوطن الأول حقا كما أوجب للثاني ، والجمع بينهما هو الأصل ، فإن تعارضت مصالحهما فالوطن الإسلامي مقدم ، ويشير لذلك عدة أمور:

**أولا : من القرآن الكريم،**

**جاء التنبيه على معالم الوطن بمعناه الجغرافي في القرآن من خلال عدة نصوص ، منها :**

- **قول الله ﷻ في سورة الحجرات﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣] .**

والشعب : من ألفاظ الأضداد ، إذ يراد به الجمع تارة والتفريق أخرى ، (٢) والقبائل جمع قبيلة، وتقال « لِكُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْ وَاحِدٍ قَبِيلة، وَيُقَالُ لِكُلِّ جَمْعٍ مِنْ شَيْءٍ واحدٍ قَبِيل، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ ، أَي هُوَ وَمَنْ كَانَ مِنْ نَسْلِهِ، وَاشْتَقَّ الزجَّاج القَبائل مِنْ قَبائل الشَّجَرَةِ وَهِيَ أَغصانها. أَبو الْعَبَّاسِ: أُخذتْ قَبائل الْعَرَبِ مِنْ قَبائل الرأْس لِاجْتَمَاعِهَا وجَماعتها الشَّعْب والقَبائل

(١) المصدر السابق (٢/ ٦٠٧) .
(٢) «لسان العرب. (1/ 497)

دُونَهَا. وَيُقَالُ: رأَيت قَبائل مِنَ الطَّيْرِ أَي أَصنافاً، وَكُلُّ صِنْف مِنْهَا قَبيلة: فالغِرْبان قَبِيلة وَالْحَمَامُ قَبيلة» (١)

فهو يجمع بين (الوطنين)، حيث يعد –من جهة– إقرارا إلهيا واعترافا سماويا بالتقسيمات الجغرافية للبلاد، بل –لا أبعد إن قلت – إنه تقدير إلهي لحياة الناس على هذه الأرض بدليل (وجعلناكم)، وهو –من جهة أخرى– ينادي بالسمو على هذه الجغرافِيَّة وعدم التعصب لها ، والارتقاء إلى كرامة الوحدة ،الأعلى من وحدة الوطن والأرض ، ألا وهي وحدة الدين (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، «ومعناه: إني لم أخلقكم شعوباً وقبائل لتتفاخروا، وإنما خلقناكم كذلك لتعارفوا» (٢)

- **قول الله ﷻ في سورة المعارج ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾**

جاء في معناه : «{وَفَصِيلَتِهِ. . .}: عشيرته، {التي تُؤْوِيهِ} أي: التي تضمه إلى رحلها ومنزلها لقرابة ما بينها وبينه» (٣) وهذا أحد معاني الوطن في اللغة كما مر.

- **كذلك حكمة الله ﷻ اقتضت أن يرسل لكل قوم نبيا ، ودلالة (القوم) على خصوصية المكان والعرق واضحة (٤) ، وهو بعض معاني الوطن ؛**

---

(١) جاء في لسان العرب : "وَحَكَى ابْنُ الْكَلْبِيّ، عَنْ أَبِيه: الشَّعْبُ أَكبرُ مِنَ القبيلةِ، ثُمَّ الفَصيلةُ، ثُمَّ العِمارةُ، ثُمَّ البطنُ، ثُمَّ الفَخِذُ. قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَرّيّ: الصَّحِيحُ فِي هَذَا مَا رَتَّبَه الزُّبَيرُ بنُ بكَّارٍ: وَهُوَ الشَّعْبُ، ثُمَّ القبيلةُ، ثُمَّ العِمارةُ، ثُمَّ البِطنُ، ثُمَّ الفَخِذُ، ثُمَّ الْفَصِيلَةُ؛ قَالَ أَبو أُسامة: هَذِهِ الطَّبَقات عَلَى ترتِيب خَلْق الإِنسانِ، فالشَّعبُ أَعظمُها، مُشْتَقٌّ مِنْ شَعْبِ الرَّأْسِ، ثُمَّ القبيلةُ مِنْ قبيلةِ الرّأْسِ لاجْتماعِها، ثُمَّ العِمارةُ وَهِيَ الصَّدرُ»«لسان العرب» (١/ ٥٠٠) قلت : ومن المتواتر المعنوي في أخبار التاريخ أن كل قبيلة كان لها مكانها (وطنها) الذي تستقر فيه وتدافع عنه ، وإقرار القرآن الكريم لهذه التسميات دون إبطال لها يعد إقرارا .

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم» (٣/ ٣٢٩).

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن ابي طالب (١٢/ ٧٧٠٦) .

(٤) ومن قرائن ذلك ما جاء في سورة الشعراء من وصف كل نبي أرسل لقومه ب(أخوهم) عدا نبي الله شعيبا عليه السلام لم يكن فيه هذا الوصف ، وقد قيل في ذلك « لأن شعيبًا لم يكن من نسلهم - أعني: من نسل أصحاب الأيكة - لذلك لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب، وقال في سورة هود حيث قال: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا. . .) الآية، كان من نسل أهل مدين، ويقولون: إن شعيبًا كان بعث إلى أهل مدين وهو كان منهم، وإلى أصحاب الأيكة وهو لم يكن منهم؛ لذلك قال ثَمَّ: أخاهم ولم يقل هاهنا " «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٨/ ٨١)

لذلك كان من خصوصية النبي ﷺ أن قال : ﴿ أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ... ﴾ (١) وعند البخاري مرفوعا من حديث جابر : ﴿ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً ﴾ (٢)

- **أيضا إطلاق القرآن الكريم أسماء بعض البلدان كما اشتهرت به ، مثل (مصر – مكة – المدينة– سبأ) دون إلغاء أو تعديل، يعد إقرارا لهذه الحدود .**

ثانيا : في فقه الهجرة ، فرق الإسلام بين حق المهاجرين وحق غيرهم ، قال ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢–٧٣]

هذه الآيات تثبت فضيلة (وطن الإسلام) على (وطن الجغرافيا) ، وذلك من وجهين :

الأول : أنه لما كان الوطن الإسلامي في بداية عهده (في المدينة) ، واحتاج إلى المواطنين (المسلمين) ، دعاهم إلى الهجرة إليه وترك أوطانهم التي نشأوا فيها، فمن أجاب الدعوة كان له الفضل وحق النصرة ﴿ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ، ومن لم يستجب فلا ولاية له ولا نصرة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ ، فقوله ﷻ

(١) صحيح مسلم» كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ (١/ ٣٧٠ ت عبد الباقي)
(٢) صحيح البخاري كِتَابُ التَّيَمُّمِ (١/ ٧٤ ط السلطانية)

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا، أَيْ: هَجَرُوا قَوْمَهُمْ وديارهم، يعني المهاجرين من مكة"[١] "وأما الذين آمنوا ولكن لم يهاجروا فليست لهم هذه الموالاة إلى أن يهاجروا، وإن استعانوا بكم فعليكم نصرهم .«إِلَّا عَلى قَوْمٍ» وهم المعاهدون معكم"[٢] .

والثاني : أن الآيات قسمت العالم كله –وقت نزولها– إلى دولتين اثنتين ، دولة المسلمين ووطنهم ﴿ الذين آمنوا ﴾ ، ودولة غير المسلمين ﴿ والذين كفروا ﴾ ،

وبينت أن غير المسلمين يتناصرون ويوالي بعضهم بعضا ، رغم اختلاف دياناتهم وتباعد ديارهم، والمسلمون أولى أن يكونوا اشد ولاء لدولة الإسلام (وطنهم الأكبر) ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

كما أن وجوب الهجرة على المسلمين القادرين، وكذا وجوب استنقاذ المسلمين المستضعفين ليهاجروا لدولة الإسلام، يؤكد أن (الوطن الإسلامي) أولى –عند التعارض– من الوطن الجغرافي ، ولذلك لما استقرت دولة الإسلام وقامت، أرجع النبي ﷺ الأمر للتسوية بين الوطنيين فقال ﴿ لا هجرة بعد الفتح ﴾ !!

**ثالثا : شيء من فقه الجهاد في سبيل الله** يبين لنا أهمية الحفاظ على الوطن (الجغرافي) ووجوب الدفاع عنه ، وجوبا عينيا، على كل من أقام فيه ،

إذ يجعل أهل كل محلة أولى بالدفاع عنها ، فيكون الجهاد – أي الدفاع عنها– فرض عين عليهم –كلهم ، المسلمين وغيرهم– دون غيرهم ، وهذا ما نطقت به الوثيقة التي عقدها النبي ﷺ –بعد هجرته– مع اليهود، إذ جاء فيها النص على وجوب الدفاع عن المدينة (الوطن) على كل من أقام فيه من أهله ، مسلمين وغيرهم، ونصه : "وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ... وإن بينهم النصر على من دهم يثرب"[٣].

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث» (٢/ ٣١٢) .
(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري» (١/ ٦٤٠).
(٣) السيرة النبوية (٣/ ٣٥) لابن هشام .

فإن تعذر عليهم دفع العدو صار حقا على المجاورين لهم عونهم . يَقُول الْفُقَهَاءُ: إذَا غَشِيَ الْعَدُوُّ مَحَلَّةَ قَوْمٍ كَانَ الْجِهَادُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى الْجَمِيعِ ذُكُورًا وَإِنَاثًا وَتَخْرُجُ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ إذْنِ الزَّوْجِ؛ لأَنَّ حَقَّ الزَّوْجِ لَا يَظْهَرُ فِي مُقَابَلَةِ فَرْضِ الْعَيْنِ" وفي هذا البيان الفقهي تأكيد على مراعاة الشرع الإسلامي لحدود وحقوق الوطن الجغرافي .

**رابعا : في دية القتل الخطأ**، فرق الإسلام بين المقيم في أرض الإسلام –ولو كان غير مسلم– وبين المقيم في دار الحرب ولو كان مسلما ، قال ﷻ ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ[النساء:٩٢]

«قال الشَّافِعِي رحمه الله: فذكر الله – عزَّ وجلَّ في المؤمن يُقْتَل خطأ. والذمّي يُقتَل خطأ، الدية في كلّ واحد منهما، وتحرير رقبة، فدلَّ ذلك على أن هذين مقتولان في بلاد الإسلام الممنوعة لا بلاد الحرب المباحة؛ وذكر من حكمهما، حكم المؤمن من عدو لنا يُقتل، فجعل فيه تحرير رقبة، فلم تحتمل الآية – والله أعلم – إلا أن يكون قوله: (فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ) يعني: في قوم عدو لكم، وذلك أنها نزلت، وكل مسلم فهو من قوم عدو للمسلمين؛ لأن مسلمي العرب هم من قوم عدو للمسلمين، وكذلك مسلمو العجم، ولو كانت على ألَّا يكون دية في مسلم خرج إلى بلاد الإسلام من جماعة المشركين؛ وهم عدو لأهل الإسلام، للزم من قال هذا القول، أن يزعم أن من أسلم من قوم مشركين، فخرج إلى دار الإسلام فقُتِلَ كانت فيه تحرير رقبة، ولم تكن فيه دية، وهذا خلاف حكم المسلمين.

وإنما معنى الآية – إن شاء الله تعالى – على ما قلنا، وقد سمعت بعض من أرضى من أهل العلم يقول ذلك، فالفرق بين القتلين، أن يُقتل المسلم في دار الإسلام

غير معمودٍ بالقتل، فيكون فيه دية، وتحرير رقبة، أو يُقتل مسلم ببلاد الحرب التي لا اسلام فيها ظاهر غير معمودٍ بالقتل، ففي ذلك تحرير رقبة، ولا دية" [١]

فظهر من هذا التقسيم، أن المقتول خطأ –الذي يجب لأوليائه حق– ثلاثة أقسام:

الأول : مسلم في أرض الإسلام

الثاني : غير مسلم في أرض الإسلام

الثالث : مسلم في أرض الحرب .

فالأول والثاني لهما الدية ، وعلى القاتل الكفارة

والثالث:لا يعطى أهله دية ،وتجب الكفارة فقط على القاتل ، «وهذا بالإجماع»[٢].

**ومن أقوال أهل اللغة، وأهل التفسير عن (الوطن) ، يمكن أن نستنبط ما يلي :**

أولا : أن وطن المرء هو ذلك المكان الذي ولد فيه، وعاش فيه حياة مستقرة، وأسس فيها أسرة، وأقام فيها علاقات متعددة .

ثانيا : أن ديار الإسلام كلها وطن للمسلم، بمعنى أن لها حقا عليه بصيانتها والدفاع عنها، كما للوطن الجغرافي الذي يعيش فيه .

ثالثا : أن من ليس في وطنه يقال له (مُجْتَوٍ، غريب، مسافر، مهاجر، نافر) وفي هذه المصطلحات ما يشير –بطريق مفهوم المخالفة– إلى قيمة الوطن ومنزلته في قلب كل إنسان.

رابعا : التعلق بالوطن (محل الميلاد) والحنين إليه والشوق له أمر مركوز في النفس، فلا يطمئن المرء إلا فيه، ولا يحن إلا له، كما قيل :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى .. وحنينه أبدا لأول منزل [٣]

(١) تفسير الإمام الشافعي» (٢/ ٦٣٣) .

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم» (١/ ٣٢٦).

(٣) نسبه الجاحظ لحبيب بن أوس – انظر : «البيان والتبيين» (٣/ ٢٠٦)

حتى إن الحق ﷻ جعل القتال مشروعا ضد المحتل؛ ثأرا للإخراج من الوطن ، قال ﷻ ﴿ وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ ، فجعل القتال ثأراً للجلاء .

خامسا : أن هذه الكلمة (الوطن) ليست حديثة بحداثة العلوم –السياسية والجغرافية والعسكرية– التي تتناولها ، بل هي قديمة قدم اللغة التي حملت جذرها وتقلباتها .

**قيمة الوطن :**

**والمتتبع –بتدبر– لآيات القرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ تتجلى له قيمة الوطن بمفهومه (الجغرافي) السابق ، ويتأكد لديه أن حب الوطن والدفاع عنه فطرة في النفوس أقرها الإيمان ، وتقرير ذلك شرعاً فيما يلي :**

- **حب الوطن قسيم حب الدين**

وقد وردت الإشارة إلى ذلك مجملة في القرآن الكريم ، قال ﷻ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم : ١٣] فالرسل كلهم مع اختلاف أماكنهم وأزمانهم وأقوامهم ، خُيّروا بين (الدين) وبين (الوطن) ،

وفي القرطبي : «خَيَّرَ الْكُفَّارُ الرُّسُلَ بَيْنَ أَنْ يَعُودُوا فِي مِلَّتِهِمْ أَوْ يُخْرِجُوهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَهَذِهِ سِيرَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي رُسُلِهِ وَعِبَادِهِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ:" وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا. سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا"» [1]

وهذا يدل على مدى معنى (المواطنة وحب الوطن) في نفوسهم ؛ ولذا فإن الكفار –من أقوام الرسل– هددوهم بإخراجهم من أرضهم إذا لم يكفوا عن الدعوة إلى الدين الجديد .

(١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٤٨).

وعند الماتريدي : «الإخراج يحتمل وجوهًا ثلاثة:

أحدها: على حقيقة الإخراج من البلد إلى غيره من البلدان والأرضين.

ويحتمل الإخراج: الحبس (لَنُخْرِجَنَّكُمْ)؛ أي: لنحبسنكم عن الانتفاع بالبلد، وبأهله وبما فيه، ويحتمل الإخراج: القتل؛ أي: نقتلنكم؛

وقد كان أهل الكفر يوعدون ويخوفون الرسل وأتباعهم بهذه الثلاثة؛ كقوله: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا. . .) الآية» (١) .

قال القشيري : «لما عجز الأعداء عن معارضة الأنبياء عليهم السلام فى الإتيان بمثل آياتهم أخذوا فى الجفاء معهم بأنواع الإنذار، والتهديد بفنون البلاء من الإخراج عن الأوطان، والتشريد فى البلدان» (٢).

على أن القرآن الكريم قد فصل في آيات أخر ما أجمله في هذه الآية ، فقال ﷻ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الأعراف ٨٨] وقال ﷻ ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء ١٦٧] وقال ﷻ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

وقد أخرج أبو يعلى عن ابن عباس قال : لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال: أما والله لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلَيَّ ، وأكرمه على الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت. يا بني عبد مناف إن كنتم ولاة هذا الأمر من بعدي فلا تمنعوا طائفاً ببيت الله ساعة من ليل ولا نهار ، ولولا أن تطغى قريش لأخبرتها ما لها عند الله ، اللهم إنك أذقت أولهم وبالا فأذق آخرهم نوالا " (٣)

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٦/ ٣٧٣) .

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري» (٢/ ٢٤٤).

(٣) مسند أبي يعلى (٥ / ٦٩) قال حسين سليم أسد : رجاله رجال الصحيح خلا محمود بن خداش وهو ثقة.

وعن عائشة أنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِك أبو بكر وبلال ، قالت: فدخلت عليهما، فقلت : يا أبت كيف تجدك ؟ ، يا بلال كيف تجدك ؟ قالت : وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئٍ مصبحٌ في أهله والموت أدنى من شراك نعله [١].

وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته ، يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ً بوادٍ وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة ٍ وهل يبدون لي شامة ٌ وطفيل

قالت عائشة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها وأنقل حماها فاجعلها بالجحفة [٢]

قال العلامة الزرقاني في شرح هذا الحديث "قال السهيلي وفي هذا الخبر وما ذكر من حنينهم إلى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين إليه وقد جاء في حديث أُصَيل الغفاري أنه قدم من مكة ، فسألته عائشة : كيف تركت مكة يا أصيل؟ قال تركتها حين ابيضت أباطحها وأحجن ثمامها وأغدق إذخرها وابشر سلمها ، فاغرروقت عيناه ﷺ وقال تشوقنا يا أصيل ، ويروى أنه قال له دع القلوب تقر [٣] .

كما أن الحق ﷻ حين شرع الجهاد ، جعل من أهدافه (الدفاع عن الأرض) أي عن الوطن الذي يعيش فيه المرء ، وجعل الجهاد في حالة الدفاع عن الأرض فرض عين على كل من يقدر على حمل السلاح .

جاء في كتاب المستطرف : «أما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق إليها. روي أن أبان قدم على النبي ﷺ فقال يا أبان كيف تركت مكة؟ قال:

(١) رجز للحكيم بن الحارث بن نهيك النهشلي، شاعر جاهلي، وتمثل بالرجز أبو بكر - رضي الله عنه - عند ما أصيب بحمى المدينة أول الهجرة انظر : شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية( ٣٠٣/٢ ) .
(٢) االجمع بين الصحيحين للحميدي (٤/ ١٤٣) .
(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك - (٤ / ٢٨٨) .

تركت الأذخر وقد أعذق والنمام وقد أورق ، فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ ، وقيل: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقة وإلى مسقط رأسها مشتاقة"[١] .

- **الإخراج من الوطن يعدل قتل النفس**

وقد قرر القرآن ذلك في قوله ﷻ ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ . قال الطبري رحمه الله : «ولو أنا فرضنا على هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك المحتكمين إلى الطاغوت أن يقتلوا أنفسهم، وأمرناهم بذلك، أو أن يخرجوا من ديارهم مهاجرين منها إلى دار أخرى سواها ما فعلوه، يقول: ما قتلوا أنفسهم بأيديهم، ولا هاجروا من ديارهم فيخرجوا عنها إلى الله ورسوله طاعة لله ولرسوله، إلا قليل منهم» [٢] فتأمل كيف قرن بين الأمرين في آية واحدة ، وجعل أحدهما قسيم الآخر في فعل الطلب ، وكيف عطف بينهما ب(أو) التي تفيد التسوية !!!

- **البعد عن الوطن ابتلاء عظيم ومحنة شديدة**

وقد ظهر هذا من تلك الألفاظ –التي أشرت إليها سلفا– التي تطلق على المفارق لوطنه ، ولهذا أطلق الله ﷻ على تلك الحال وصف المراغمة ، قال ﷻ ﴿ وَمَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ يقول الرازي رحمه الله : " وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ الْمَانِعَ أَمْرَانِ: الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي وَطَنِهِ نَوْعُ رَاحَةٍ وَرَفَاهِيَةٍ، فَيَقُولُ لَوْ فَارَقْتُ الْوَطَنَ وَقَعْتُ فِي الشِّدَّةِ وَالْمَشَقَّةِ وَضِيقِ الْعَيْشِ، فَأَجَابَ اللَّه عَنْهُ بِقَوْلِهِ: وَمَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ...إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ: الْمَشْهُورُ أَنَّ هَذِهِ الْمُرَاغَمَةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ فَارَقُوا وَخَرَجُوا عَنْ دِيَارِهِمْ» [٣]

(١) المستطرف في كل فن مستطرف لأبي الفتح الأبشيهي (ص٢٩٢).
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٧/ ٢٠٦).
(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (١١/ ١٩٨).

ويقول أيضا في قوله تعالى حاكيا عن فرعون : ﴿ إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها ﴾ : «وَالشُّبْهَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ غَرَضَ مُوسَى وَالسَّحَرَةِ فِيمَا تَوَاطَئُوا عَلَيْهِ إِخْرَاجُ الْقَوْمِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَإِبْطَالُ مُلْكِهِمْ ، وَمَعْلُومٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ أَنَّ مُفَارَقَةَ الْوَطَنِ وَالنِّعْمَةِ الْمَأْلُوفَةِ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ، فَجَمَعَ فِرْعَوْنُ اللَّعِينُ بَيْنَ الشُّبْهَتَيْنِ اللَّتَيْنِ لَا يُوجَدُ أَقْوَى مِنْهُمَا فِي هَذَا الْبَابِ» [1]

يقول القشيري في قوله ﷻ ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ : «لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ» : فى الظاهر إلى مكة.. وكان يقول كثيرا: «الوطن الوطن» ، فحقّق الله سؤله [2]

وقد كان من هديه ﷺ إذا أراد سفرا أن يكبر ثلاثا ، وإذا كان في غزو ، وعاد، أن يعجل سيره إلى المدينة ، ويكبر على كل شرف !!

أما التكبير ثلاثا «فإنه عليه السلام لما كبر ثلاثًا شرع التكبير لكل مسافر عند توجهه إليه ليصدم بقوله: (الله أكبر) ما يتهجسه في سره من هذه المشقة، وحوادث السفر، وأخطاره والبعد عن الوطن وإنهاره، فاستعان على ذلك كله بتكرير التكبير، فإنه إذا قال: (الله أكبر) عندما يتهجسه من مخاوف السفر صغر كل ذلك، وكل كثير منها عند قول المؤمن: (الله أكبر)، ولذلك إذا ذكر ما وراءه من الأهل والوطن ورأى أن سفره لله في سبيله، فقال: (الله أكبر مما نزلت وأرى، والله أكبر مما أخاف من بين يدي) فقد تدرع بدرع حصينة في ذلك، فأما تكريره التكبير ثلاثًا: فواحدة لما بين يديه، وواحدة لما وراءه، وواحدة لحاله في نفسه» [3].

(١) المصدر السابق (١٤/ ٣٣٩) .
(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري» (٣/ ٨٣).
(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح - لابن هبيرة (٤/ ٢٨٢).

يقول ابن بطال : «وتعجيل سيره ﷺ –إلى المدينة – إذا نظر إليها من أجل أن قرب الدار يجدد الشوق للأحبة والأهل، ويؤكد الحنين إلى الوطن، وفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأسوة الحسنة»

وأما تكبيره ﷺ في عودته : ففيه من الفقه " استعمال حمد الله تعالى والإقرار بنعمته، والخضوع له، والثناء عليه عند القدوم من الحج والجهاد على ما وهب من تمام المناسك، وما رزق من النصرة على العدو، والرجوع إلى الوطن سالمين» [١]

- **الإخراج من الوطن عقوبة شرعية عند ارتكاب بعض الكبائر :**

فالنفي عن الوطن عقوبة في حد الحرابة ، قال ﷻ ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ . «وأصل النفي: الطرد» [٢] و(الأرض) هنا : أرض الإسلام ، والمعنى : أن جزاء هؤلاء الذي يفسدون في أرض الإسلام أن يطردوا منها إلى دار الحرب والأعداء [٣]، أو يطاردوا فيها حيث توجهوا؛ بحيث لا يقر لهم قرار ، أو يحبسوا ؛ فيمنعوا من التمتع ببلادهم ،ويكون سجنهم في معنى النفي [٤]

وروى الطبري«عن سعيد بن جبير: {أو ينفوا من الأرض} قال: " من أخاف سبيل المسلمين نفي من بلده إلى غيره» [٥]

والتغريب –عاماً– عقوبة في حد الزنا مع الزاني البكر، قال ﷺ ﴿ البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ... ﴾ [٦]. والمفهوم من كلام شراح هذا الحديث أن معنى النفي

(١) شرح صحيح البخارى - لابن بطال (٤/ ٤٥٠، ٤٥٥ ) .
(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير» (١١/ ٣٠٠).
(٣) هذا على أن الآية نزلت في الكفار المقيمين بأرض الإسلام
(٤) هذان المعنيان بناء على أن الآية تتحدث عن مسلمين ، والقول بان النفي معناه الحبس مذهب الأحناف فقط ، وانظر في تفسير الآية : «تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٨/ ٣٩٤) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٢/ ١٧٠) ، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٣/ ٥٠٧) ، تفسير السمرقندي = بحر العلوم» (١/ ٣٨٦) .
(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٨/ ٣٨٧) .
(٦) صحيح مسلم كتاب الحدود باب حد الزنا حديث رقم ١٦٩٠.

أن يخرج من بلده ، أو البلد التي زنا بها ، كما ذكره الحافظ المناوي[1] ، والمعنيان صحيحان ، وكلاهما مراد ، إذ النفي هنا حق البلد والمجتمع الذي لحقه الضرر بسبب هذه الجريمة ، ويجمع بينهما : إذا كان مرتكب هذه الفعلة ليس من أهل البلد فينفى عن بلده مسقط رأسه وعن البلد التي زنا فيها. والله أعلم .

- **المهاجرون (الأول) هم أعظم الناس أجراً**

يقول ابن عبد البر : « وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ (اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ) فَمَعْنَاهُ الدُّعَاءُ لَهُمْ فِي أَنْ يُتِمَّ لَهُمْ هِجْرَتَهُمْ سَالِمَةً مِنْ آفَاتِ الرُّجُوعِ إِلَى الْوَطَنِ الْمُتَقَرَّبِ بِهِجْرَتِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَأَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَى هِجْرَتِهِمْ تِلْكَ ، وَكَانُوا يَسْتَعِيذُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَعُودُوا كَالْأَعْرَابِ بَعْدَ هِجْرَتِهِمْ، لِأَنَّ الْأَعْرَابَ لَمْ يُتَعَبَّدُوا بِالْهِجْرَةِ الَّتِي كَانَ يَحْرُمُ بِهَا عَلَى الْمُهَاجِرِ الرُّجُوعُ إِلَى وَطَنِهِ ، وَلَمْ تَكُنِ الْهِجْرَةُ (مُقْتَصَرَةً) فِي تَرْكِ الْوَطَنِ وَتَحْرِيمِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ –عَلَى الْأَبَدِ– إِلَّا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، خَاصَّةً الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ مِنْ أَهْلِهَا وَاتَّبَعُوهُ ؛ لِيَتِمَّ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ الْغَايَةُ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي سَبَقَ لَهُمْ، فَعَلَيْهِمْ خَاصَّةً افْتُرِضَتِ الهجرة المفترض فيها البقاء مع النبي ﷺ حَيْثُ اسْتَقَرَّ ، وَالتَّحَوُّلُ مَعَهُ حَيْثُ تَحَوَّلَ ؛ لِنُصْرَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ وَصُحْبَتِهِ وَالْحِفْظِ لِمَا يَشْرَعُهُ وَالتَّبْلِيغِ عَنْهُ

وَلَمْ يُرَخَّصْ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْوَطَنِ وَتَرْكِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ –يقصد الأعراب– كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ هِجْرَةَ دَارِ الْكُفْرِ حَيْثُ كَانَتْ وَاجِبَةً عَلَى كُلِّ مَنْ آمَنُ أَنْ يَهْجُرَ دَارَ الْكُفْرِ؛ لِئَلَّا تَجْرِيَ عَلَيْهِ فِيهَا أَحْكَامُ الشَّيْطَانِ، وَحَرُمَ عَلَيْهِ الْمُقَامُ حَيْثُ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ الْإِسْلَامِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مُقِيمٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ) فَلَمْ يُحَرِّمْ فِي هِجْرَتِهِ هَذِهِ حَالَةَ الرُّجُوعِ إِلَى الْوَطَنِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ إِذَا عَادَتْ تِلْكَ الدَّارُ دَارَ إِيمَانٍ وَإِسْلَامٍ» [2] ، لذلك تكاد كل الآيات التي تحدثت عن المهاجرين

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير – للحافظ المناوي (١/ ٥١٣).
(٢) الاستذكار- لابن عبد البر (٧/ ٢٧٦).

وفضلهم تنصرف إلى الصدر الأول خاصة ، وقد بين الله ﷻ درجتهم وفضلهم في غير آية ،

فجعلهم أهلا لرحمته .. قال ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أخرج ابن أبي حاتم «عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَوْلُهُ: أولئك يرجون رحمت اللَّهِ قَالَ: هَؤُلاءِ خِيَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ، ثُمَّ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَهْلَ رَجَاءٍ. إِنَّهُ مَنْ رَجَا طَلَبَ، وَمَنْ خَافَ، هَرَبَ» (١) وعند الخازن : «أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ أي يطمعون في نيل رحمة الله أخبر أنهم على رجاء الرحمة. وقيل: المراد من الرجاء هنا القطع في أصل الثواب وإنما دخل الظن في كميته ووقته» (٢) .

ووعدهم بتكفير السيئات وإدخالهم الجنة ..قال ﷻ ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ يقول العلامة الطبري رحمه الله : "يعني بقوله جل ثناؤه:"فالذين هاجروا" قومَهم من أهل الكفر وعشيرتهم في الله، إلى إخوانهم من أهل الإيمان بالله، والتصديق برسوله، "وأخرجوا من ديارهم"، وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة ، "وأوذوا في سبيلي"، يعني: وأوذوا في طاعتهم ربَّهم، وعبادتهم إياه مخلصين له الدين، وذلك هو"سبيل الله" التي آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله ﷺ من أهلها "وقاتلوا" يعني: وقاتلوا في سبيل الله ="وقتلوا" فيها "لأكفرن عنهم سيئاتهم"، يعني: لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها لهم "ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابًا"، يعني: جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله "من عند الله"، يعني: من قبل الله لهم "والله عنده حسن الثواب"، يعني: أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه» (٣).

(١) تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم» (٢/ ٣٨٨).
(٢) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل» (١/ ١٤٧).
(٣) تفسير الطبري ، جامع البيان ط دار التربية والتراث» (٧/ ٤٩٠).

ووعدهم بعد ذلك بحسنة الدنيا والآخرة ، قال ﷻ ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .وقال ﷻ ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ ومعناه :«والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك، ليرزقنهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا. يعني بالحسن: الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن: الثواب الجزيل» [١].

(١) تفسير الطبري ، جامع البيان ط دار التربية والتراث» (١٨/ ٦٧٣).

## المبحث الثاني

## مؤهلات الشباب

اتضح من حديث القرآن عن مرحلة الشباب أن هناك مقومات ينبغي أن ينشأ عليها؛ حتى يصل لمرحلة (الفتوة) فيكون شبابا نافعا لوطنه، فاعلا في مجتمعه ، وهذه الصفات إجمالا هي :

**(العلم –الحلم– القوة– العفة– الأمانة )** [1]

وفيما يلي بيان لحديث القرآن عن كل منها :

### المطلب الأول : العلم

تأهيل الشباب –خاصة– بالعلم أمر ضروري بلا جدال ، بل لعله يكون أول المطالب وأهمهما ؛ إذ إن أول ما نزل من القرآن كان (اقرأ) وهو دعوة صريحة للعلم ، والتزود به ؛ استعدادا للمهمة الثقيلة التي ستلقى على قلب النبي ﷺ ، والذي كان من أعظم مهماته مع الناس –وقد بُعث فيهم رسولا– أن ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة ﴾

وهذا المطلب مُصَرَّحٌ به في قوله تعالى (فبشرناه بغلام عليم) وقد سبق الكلام فيه، فلابد من التعريج عليه ببيان أهميته ، وأثره في صقل الشخصية ، وخدمة الوطن، وتتجلى أهميته في النقاط الآتية :

**أول ما يُطلب من العلم : علم الدين** ، قال ﷻ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] .

(١) يمكن أن يقال إن هذه الصفات الخمسة صفات عامة -ليست خاصة بالشباب- ينبغي أن تكون مؤهلات أي شخص يتولى مسئولية في أي زمان ومكان ، وتخليق الشباب بها وتنشئتهم عليها أنفع للأمة وأرفع لها ، وهي صفات مستقاة كلها من صريح القرآن الكريم في غير موطن ، كما سيأتي بيانه .

وهذا «خطاب يدخل الناس فيه مع النبي – ﷺ –، كما قال الله عزَّ وجلَّ: (يَا أيها النبي إذا طلقتمْ النساء)، والمعنى من عَلِمَ فليقم على ذلك العلم، كما قال: (اهْدِنَا الصِرَاطَ المسْتقيم) أي ثبتنا على الهداية» (١)

«يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه» (٢)

قال سهل التستري : «الخلق كلهم موتى إلا العلماء؛ ولذلك دعا نبيه ﷺ إلى محل الحياة بالعلم بقوله ﴿فَاعْلَمْ ﴾ (٣)

وقد بوب البخاري في صحيحه «بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ" لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ} فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...» (٤)

**العلم منة الله على أنبيائه :**

امتن به على محمد ﷺ فقال : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] وامتن به على يوسف عليه السلام ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ [يوسف: ٦] وقال ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢] ، وعلى داود وسليمان عليهما السلام : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥-١٦] وقال ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩] ، وامتن به على لوط عليه السلام فقال

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٥/ ١٢).
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث» (٢٢/ ١٧٣).
(٣) تفسير التستري» (ص١٤٦).
(٤) صحيح البخاري - كِتَابُ الْعِلْمِ بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ (١/ ٢٤ ط السلطانية).

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٤] وامتن به على موسى عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤] ووجه نبيه –وأمته تبع له– أن يدعو بزيادة العلم فقال : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]

**العلم منة الله على خلقه :**

قال ﷻ في حق طالوت : ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وقال أيضا : ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] تأتي هاتان الآيتان تعقيبا على بني إسرائيل إذ رفضوا أن يكون طالوتُ ملكا؛ لأنه فقير لا مال له، فقالوا ﴿ أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ "فلما نسوا حق الاختيار ونظروا إلى الحال بعين الظاهر؛ استبعدوا أن يكون طالوت ملكا لأنه كان فقيرا لا مال له، فبيّن لهم أن الفضيلة باختيار الحق، وأنه وإن عدم المال فقد زاده الله علما؛ فَفَضَلَكم بعلمه وجسمه[١]، و«قرر عندهم أن الملك يحتاج إلى فضل علم وفضل قوة " [٢] حتى ادعى الواحدي أن طالوت «كان يومئذٍ أعلم رجلٍ في بني إسرائيل وأجمله وأتمّه»[٣] .

وقد أخرج الطبري «عن الضحاك في قوله:"وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا"، وكان في بني إسرائيل سبطان: سبط نبوة، وسبط خلافة، فلذلك قالوا:"أنى يكون له الملك علينا"؟ يقولون: ومن أين يكون له الملك علينا، وليس من سبط النبوة ولا سبط الخلافة"؟ قال:"إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم"» [٤] .

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري» (١/ ١٩٢)
(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٢٣)
(٣) الوجيز للواحدي» (ص١٧٩)
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث» (٥/ ٣١٠)

**العلم سبب التميز والتقدم :**

والله ﷻ يقول ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] ويقول﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] ويقول : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ويقول كذلك ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وهذه الآيات تدل –مجتمعة– على ما يلي :

أولا : أن الفرق بين العالم وغير العالم كالفرق بين البصير والأعمى ، ولا يستويان مثلا !!

ثانيا : أن العالم أقرب إلى الله من سائر الناس ، .

ثالثا : أن الله ﷻ فضل العالم على سائر الناس درجات .

ولعل هذا هو سر تفضيل بني إسرائيل على أهل زمانهم ، كما صرح القرآن بذلك في قوله ﷻ ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[الدخان: ٣٢] فقوله: (عَلَى عِلْمٍ) يخرج على وجوه:

"أحدها: أي: (اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ) أي: بسبب علم آتيناهم ذلك، لم يؤت ذلك غيرهم؛ لتظهر فضيلة العلم على العالمين وشرفه، والله أعلم.

والثاني: يحتمل: (اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ) منا بأسباب فيهم وأشياء لم تعلم تلك الأسباب والمعاني في غيرهم، بها استوجبوا الاختيار على العالمين.

والثالث: أي: (اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ) أي: بسبب علم أحوجْنا غيرَهم إليهم، فصاروا مختارين مفضلين بسبب تعليمهم إياهم ما احتاجوا إليه؛ فيكون لهم فضل الأستاذ على التلميذ، وهذا كما يقال: إن العرب أفضل من الموالي؛ لأن الموالي احتاجوا إلى العرب في معرفة لسانهم، ومعرفة أشياء احتاجوا إليها، فاستوجبوا الفضيلة؛ لحاجتهم إليهم؛ ولذلك فضلت قريش على سائر العرب؛ لما احتاجت سائر العرب إلى قريش في معرفة أشياء لا يصلون إلى ذلك إلا أنهم فضلوا على غيرهم لذلك؛ فعلى ذلك يحتمل

أنه أحوج إلى بني إسرائيل غيرهم في معرفة أشياء، فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة على غيرهم، والله أعلم» [1].

**العلم النافع هو المطلوب** : العلوم المذكورة في قوله تعالى﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١] وقوله ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥-١٦] وقوله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] وقوله ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] هي على الترتيب : (علم تأويل الأحاديث، علم الحسابات والتجارة، علم الأحياء، علم الحروب، العلم الشرعي) كلها علوم جاءت بها الآيات – المذكورة سلفا– على الترتيب، وهي كلها علوم نافعة، ذات أثر في المجتمع، تسهم في رقي الوطن وتقدمه

**أما علم تأويل الأحاديث** ، فقد جاء في سورة يوسف في ثلاثة مواطن ، مقترنا في كل منها بأمر مختلف ، على هذا النحو : قال ﷻ ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٦] وقال ﷻ ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١] وقال ﷻ ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١] ففي الموطن الأول اقترن بالاجتباء الرباني ، وفي الموطن الثاني اقترن بالتمكين في الأرض ، وفي الموطن الثالث اقترن بإيتاء الملك ، وفي هذا –من التنبيه على شأن هذا العلم– ما فيه ، ولعل ذلك والله أعلم –غير أنه خصوصية لسيدنا يوسف ﷺ – لأنه متى سلمت قواعده انكشف للناس به آفاق المستقبل فاحتاط كل منهم وخطط لنفسه بما علم من حالها ، ولعل رؤى سيدنا يوسف

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٩/ ٢٠٦)

ﷺ في السورة وأثرها في سيرة حياته خير دليل على ذلك ، يؤيد ذلك ما صح من قوله ﷺ " إِن رُؤْيا الْمُؤمن جُزْء من ستة وَأَرْبَعين جُزْءا من النُّبُوَّة" (١) .

**نهى الله عن اتباع الجهال أو جعلهم في محل القيادة :**

ويشير إلى هذا عدة آيات قرآنية ، بعضها ينهى صراحة عن اتباع الجهال ، كقوله ﷻ ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٩] وقوله ﷻ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] وبعضها يرتب وعيدا على اتباع الجهال كقوله ﷻ ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقوله ﷻ ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] وأخيرا قوله ﷻ ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٧]، ويستفاد منها –بمفهوم المخالفة– أن أهل العلم أولى بقيادة المجتمعات، وأحق بأن يتبعهم الناس؛ لأنهم يستطيعون أن يقوموا بمهام القائد على أكمل الوجوه، وهو ما يؤكده العنصر التالي:

**دور العلماء الإرشاد والتوجيه :**

وهذا أمر أبرزه القرآن الكريم بوضوح في غير موطن ،

بدءا من إقرار تميز أهل العلم بمعرفة الحق وسلوك طريقه، قال ﷻ ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] .

وبالتالي قدرتهم على استنطاق النصوص الشرعية واستنباط النتائج منها ، قال ﷻ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] .

(١) الجمع بين الصحيحين للحميدي» (٣/ ٢٦)

ثم التوجيه الفردي المؤيد بالعلم ، قال ﷻ ﴿يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣] .

ثم التوجيه العام المعلن ، قال ﷻ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠] .

**المطلب الثاني : الحلم**

تُعَدُّ تنشئة الشباب على صفة (الحلم) مطلبا قرآنيا ، مفهوما من قوله تعالى –في غير موطن من القرآن– (فبشرناه بغلام حليم) وقد تقدم بيان ذلك ، مما يؤكد أهمية تحلي الشباب –خاصة القادة منهم– بهذه الصفة الكريمة ، كما سيأتي .

حيث إنه تتفاوت درجات الناس فى الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه فيستحمق على عجل، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظا برجاحة فكرة وسجاحة خلقه . ومع أن للطباع الأصيلة فى النفس دخلا كبيرا فى أنصبة الناس من الحدة والهدوء، والعجلة والأناة، والكدر والنقاء، إلا أن هناك ارتباطا مؤكدا بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين، وتجاوزه عن خطئهم، فالرجل العظيم حقا كلما حقق فى آفاق الكمال اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم ! فإذا عدا عليه غرٌّ يريد تجريحه، نظر إليه من قمته كما ينظر الفيلسوف إلى صبيان يعبثون فى الطريق وقد يرمونه بالأحجار !!

ويمكن القول : إن الإسلام الحنيف جاء ليحارب جهالتين، الجهالة ضد العلم، والجهالة ضد الحلم، واستعمل القرآن كلمة (الجهالة) بالمعنيين ، فقال ﷻ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣] وقال ﴿ وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ (الفرقان : ٦٣) يقول البيضاوي : "وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً تسلماً منكم ومتاركة لكم، لا خير بيننا ولا شر، أو سداداً من

القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم، والمراد به الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام " [١] ، وعند القشيري : " ويقال إذا خاطبهم الجاهلون بأحوالهم، الطاعنون فيهم، العائبون لهم ، قابلوا ذلك بالرّفق، وحسن الخلق، والقول الحسن والكلام الطيب"[٢].

وحرص الشرع على ترسيخ هذه الصفة في نفوس أتباعه عامة ، والقادة خاصة ، ومن ذلك : أولا : شاءت إرادة الله ﷻ أن يجعل صفة الحلم صفة لكثير من أنبيائه الذين يحملون رسالته للخلق ، فقال ﷻ في حق إبراهيم ﷺ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤] وقال ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيب﴾ [هود: ٧٥] وقال في شعيب ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧] .

وقال في حق إسماعيل ﷺ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١] .

ثانيا : امتدح الله ﷻ بها عباده فقال ﷻ ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧] وقال : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

ثالثا : بين سبحانه أن الغضب مطردة للناس، منفر لهم عن الشخص، فقال ﷻ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

رابعا : بين سبحانه أن الغضب يمنع الخير عن الشخص ويوقعه في الشر، فقال ﷻ في حق موسى ﷺ : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] وقال في حق يونس ﷺ

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٣٠) بتصرف
(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٢/ ٦٤٩)

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] .

**المطلب الثالث : القوة**

والقوة التي نتكلم عنها ، والتي أمر بها القرآن الكريم ، ليست قاصرة على قوة الجسد ،كما قد يفهم بعض الناس ، إنما هي قوة عامة تتناول القوة الحسية –كقوة الجسد وقوة العدد والسلاح– والقوة المعنوية كقوة الإيمان وقوة الإرادة وقوة العقل وقوة العلم ؛ لذلك لم يقيدها القرآن الكريم بأي قيد في قول الله ﷻ {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً } [الروم: ٥٤]، وقد سبقت الإشارة لذلك في التمهيد [١]

**فالقوة الحسية** ، تتمثل في :

**قوة الجسد** ، وقد وردت الإشارة إليها في قوله ﷻ { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦] " يعني: خير الأجراء من يكون قوياً في العمل، أميناً على المال والعورة." ، "وإنَّما سمَّتْه قويّا، لرفعه الحجر على رأس البئر، وقيل: لأنه استقى بدلو لا يُقِلُّها إلا العدد الكثير من الرجال" [٢]، وهي كما رأيت تتكلم عن قوة الجسد ، ومثله قوله ﷻ {قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} [النمل: ٣٩].

**قوة العدد والعدة** ، كما في قوله ﷻ {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ} [الكهف: ٩٥] وهو إشارة إلى قوة العدد والآلات ، فمعنى أَعِينُونِي بِقُوَّةٍ : إِنِّي لَا أُرِيدُ الْمَالَ بَلْ أَعِينُونِي بِأَبْدَانِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ [٣] .

---

(١) في رابعا : بلوغ الأشد ص ٨

(٢) انظر : تفسير بحر العلوم – لابي الليث السمرقندي (٢/ ٦٠٥) ومثله في زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣/ ٣٨٠)

(٣) على هذا المعنى جمهور المفسرين ، انظر : تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ١١٣) ، تفسير السمرقندي ، بحر العلوم (٢/ ٣٦٢)، تفسير البغوي - إحياء التراث (٣/ ٢١٧) ، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٢٧) وغيرهم .

**قوة السلاح** كما في قوله ﷻ {قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} [النمل: ٣٣] وهذه الآية تتكلم عن قوة العدد والسلاح ، قال البغوي : " أَرَادُوا بِالْقُوَّةِ: كَثْرَةَ الْعَدَدِ ، وَبِالْبَأْسِ الشَّدِيدِ: الشَّجَاعَةَ، وَهَذَا تَعْرِيضٌ مِنْهُمْ بِالْقِتَالِ إِنْ أَمَرَتْهُمْ بِذَلِكَ " (١) وفي البحر : " أُولُوا قُوَّةٍ، أَيْ قُوَّةٍ بِالْعَدَدِ والعُدد، وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ: أَيْ أَصْحَابُ شَجَاعَةٍ وَنَجْدَةٍ. أَظْهَرُوا الْقُوَّةَ الْعَرَضِيَّةَ، ثُمَّ الْقُوَّةَ الذَّاتِيَّةَ، أي نحن متهيؤون لِلْحَرْبِ وَدَفْعِ هَذَا الْحَادِثِ" (٢). ومثلها قوله ﷻ {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ } [الإسراء: ٥] وقوله ﷻ

{قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} [الفتح: ١٦]، وقوله ﷻ {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩]

**والقوة المعنوية ، تتمثل في :**

**قوة العلم** ، وأشار إليها قوله ﷻ {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} [مريم: ١٢] "قال الله ليحيى بعد ولادته: خُذِ الْكِتابَ –يعنى التوراة– بِقُوَّةٍ : أي في العلم به والعمل به"(٣) ويؤيده أن يحيى عليه السلام لم يكن له كتاب من السماء ، فالغالب أن المراد بالكتاب إما التوراة –باعتباره أقرب الكتب إليه عهدا– وإما مجموع الوحي النازل من السماء .

**قوة العزم والإرادة** ، وأشار إليها قوله ﷻ { خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ }[البقرة: ٦٣، ٩٣] وقوله ﷻ {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ } [الأعراف: ١٤٥] والقوة ترد في القرآن على وجوه : " أحدها: الجد والاجتهاد، قاله ابن عباس وقتادة والسدي" (٤).

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث (٣/ ٥٠٢).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٣٦).
(٣) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٧٨).
(٤) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٧٤).

قوة الإيمان : وإليه يشير قوله ﷻ {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود: ٥٢] فقوله ﷻ {ويزدكم قوة إلى قوتكم} -كما حكى الماوردي- "فيه أربعة أوجه: أحدها: يعني شدة إلى شدتك , قاله مجاهد. الثاني: خصباً إلى خصبكم , قاله الضحاك. الثالث: عزاً إلى عزكم بكثرة عددكم وأموالكم . الرابع: أنه ولد الولد , قاله عكرمة. ويحتمل خامساً يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوتكم في أبدانكم" [(١)].قلت والقول الأخير أعجبها إلي ؛ لمناسبته مع الاستغفار المأمور به في مطلع الآية الكريمة.

**تتمة المبحث :**

بتأمل قوله ﷻ **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ }** [الأنفال: ٦٠] نجد أن فيها أمرا بتحصيل كل أنواع القوى (الحسية والمعنوية) ،

فالأمر (وأعدوا) أمر عام لكل المسلمين في كل زمان ،

وقوله (ما استطعتم) عام ، يشير إلى بذل الجهد على قدر الوسع ، وأن أي تقصير في هذا الميدان نوع من المخالفة ؛ لأن العام لا يتحقق بتخلف بعض أفراده.

وقوله (من قوة) نكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق ، فتشمل كل قوة ممكنة

ويكون معنى الآية : عليكم أيها المخاطبون أن تحصلوا من كل أنواع القوى ما تستطيعونه ، قال الرازي رحمه الله : "لَمَّا اتَّفَقَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ بَدْرٍ أَنْ قَصَدُوا الْكُفَّارَ بِلَا آلَةٍ وَلَا عُدَّةٍ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهِ وَأَنْ يَعُدُّوا لِلْكُفَّارِ مَا يُمْكِنُهُمْ مِنْ آلَةٍ وَعُدَّةٍ وَقُوَّةٍ، وَالْمُرَادُ بالقوة هاهنا: مَا يَكُونُ سَبَبًا لِحُصُولِ الْقُوَّةِ وَذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا: الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ مِنَ الْقُوَّةِ أَنْوَاعُ الْأَسْلِحَةِ.

الثَّانِي: رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَالَ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» قَالَهَا ثَلَاثًا[(٢)].

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ٤٧٧) .
(٢) صحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب فضل الرمي حديث رقم ١٩١٧.

الثَّالِثُ: قَالَ بَعْضُهُمْ: الْقُوَّةُ هِيَ الْحُصُونُ. الرَّابِعُ: قَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي الْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: هَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَا يُتَقَوَّى بِهِ عَلَى حَرْبِ الْعَدُوِّ، وَكُلُّ مَا هُوَ آلَةٌ لِلْغَزْوِ وَالْجِهَادِ فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْقُوَّةِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ : «الْقُوَّةُ هِيَ الرَّمْيُ» لَا يَنْفِي كَوْنَ غَيْرِ الرَّمْيِ مُعْتَبَرًا، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «الْحَجُّ عَرَفَةُ»(١) وَ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»(٢) لَا يَنْفِي اعْتِبَارَ غَيْرِهِ، بَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَذْكُورَ جُزْءٌ شَرِيفٌ مِنَ الْمَقْصُودِ فَكَذَا هاهنا " (٣)

وطلب موسى عليه السلام أن يكون أخوه هارون معه –في قوله ﷻ {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} [طه: ٢٩ – ٣٢] –، واستجابة الحق ﷻ لطلبه بقوله {قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} [القصص: ٣٥] يشير إلى أن القوة المنشودة تكمن في الشباب بشكل أساسي ، وإذا ضممنا لذلك ما صح في كتب السنن أن رسول الله ﷺ لما قال يوم بدر " من أتى مكان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فسارع إليه الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات " (٤) تجلى لنا دور الشباب في أول وأعظم نصر أكرم الله به نبيه ﷺ .

**المطلب الرابع : العفة**

وهذه صفة سلوكية تضبط حياة الإنسان فتجعله لا يتنازل عن حقوقه، ولا يعْوَجُّ في طلب حاجاته، وما قيل من أنَ التَّعَفُّفُ التَّفَعُّلُ مِنَ الْعِفَّةِ وَهِيَ التَّرْكُ، [يُقَالُ: عَفَّ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا كَفَّ عَنْهُ وَتَعَفَّفَ إِذَا تَكَلَّفَ فِي الْإِمْسَاكِ] (٥) فمحمول على ترك الاعوجاج

(١) جزء من حديث صحيح أخرجه الترمذي – أبواب الحج- رقم ٨٨٩ .
(٢) صحيح : سنن ابن ماجه – كتاب الزهد – باب ذكر التوبة – رقم ٤٢٥٢ .
(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٤٩٩) .
(٤) سنن النسائي الكبرى (٦/ ٣٤٩) .
(٥) تفسير البغوي - إحياء التراث (١/ ٣٧٧).

وجاءت هذه الصفة صريحة في القرآن في أربعة مواطن ، قال ﷻ {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ )) [البقرة: ٢٧٣] وقال ﷻ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ )) [النساء: ٦] وقال ﷻ {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ))[النور: ٣٣] وقال ﷻ {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: ٦٠]

ويعجب المتدبر لآيات الله حين يرى أن القرآن عبر عن العفة بكلمة (الإحصان) في قوله تعالى {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} [النساء: ٢٥] قال العلامة ابن كثير : "وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَيْ سَعَةً وَقُدْرَةً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ أي الحرائر العفائف المؤمنات ، ... وقوله تعالى: مُحْصَنَاتٍ أَيْ عَفَائِفَ عَنِ الزِّنَا لَا يَتَعَاطَيْنَهُ " [1] وهو تعبير يؤكد أهمية هذه الصفة في شخصية الشباب بشكل خاص ، حتى إنها لما تجلت بقوة في شخصية سيدنا يوسف عليه السلام لم يجد النسوة تعبيرا أوفى من قولهم : (ما علمنا عليه من سوء) ! ذلك أن العفة علامة طهر النفس وعزتها ،

إن كثيرا من الناس تتنازعهم –في الحياة– فلسفات شتى ، "بعضها يقوم على هدم الجسم زاعما أن الروح لا يحلق فى أوجِهِ إلا إذا أفلت من قيوده، وبعضها الآخر استهدف الملذات ودار فى حدودها المهينة ساخرا بما وراء ذلك. أما الإسلام فلن تجد فيه الرهبانية التى يضيق الناس ذرعا بها، ويتحرجون من صرامتها. كما أنك لن تجد فيه الحيوانية القائمة على عبث الشهوات ومطاوعة الأهواء . وأكثر الذين يفقدون

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/ ٢٢٧) .

عفتهم ويعيشون للمتع وحدها هم من ذلك الصنف الأخير. أو هم إليه منتهون إن لم يثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا عن غيهم. وفى هؤلاء يقول الله عز وجل: (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) ويقول : (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) . أما المؤمن فهو يقسم آماله ورغائبه على معاشه ومعاده، ويطلب الخير لنفسه فى يومه وغده، وقد علمنا القرآن الكريم أن التطلع إلى النعمة والسعادة فى كلتا الحياتين هو من أكبر الذكر لله !!! قال الله تعالى : (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) بناء على ما تمهد من هذه القواعد يوصى الإسلام المرء ألا يكون عبد بطنه، يعيش فى الدنيا ليأكل، ويغدو ويروح وليس له من هم إلا أن يجمع على مائدته ألوان الطعام، فإذا حشد فوقها ما لذ وطاب سُرَّ واطمأن، وإلا تغير وتغيّظ وحسب أن القدر يكيد له !! إن الرجال الذين يمعنون فى التشبُّع والامتلاء ويبتكرون فى وسائل الطهى وضروب التلذذ، لا يصلحون لأعمال جليلة، ولا ترشحهم هممهم القاعدة لجهاد أو تضحية. وتخفف الإنسان من مقادير الأطعمة لا يتم بالتزهد المجرد، أو الامتناع لغير معنى مفهوم. بل الطريق الصحيحة أن يربط الإنسان همته بمطمح كبير ثم ينشغل بتحصيله، فإن هذا يصرفه عن فنون اللهو وأنواع الملذات الرخيصة . كما أن ملذات الطعام وحطام الدنيا أنزل قدرا من أن يتفانى الناس فيها على النحو الشائن الذى نراه فى عصرنا هذا . قال رسول الله – ﷺ – : " إن مطعم ابن آدم جعل مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه، فانظر إلام يصير " . وفى رواية: " إن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا " [١]. وهذا الكلام قد يخطئ الناظر القاصر

(١) ضعيف : رواه الإمام احمد في مسنده – رقم ١٥٧٤٧

فهم دلالته، وقد يحسبه إبعادا للمسلم عن الحياة وحثا له على ترك طيباتها وهجر نعمائها. وشيء من ذلك لا يقصد إليه الإسلام ؛ فإن تحريم الحلال، كتحليل الحرام، جريمة مُنكرة وحق الله على المسلم ألا يغلب الحرامُ صبره، ولا الحلالُ شكره . أما حقه فى الحياة والاستمتاع بخيرها فلا ريب فيه : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) . وكان رسول الله وأصحابه فى حياتهم الخاصة ينزلون عند قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) . وللبدن مطالب، أجمع العقلاء على أن فى انتقاصها إضرارا به . فكل زهد أو تصوف يغض منها فالإسلام بريء منه. والحملات التى شنها الإسلام على المادية إنما تعنى بطنة المترفين وتشتم الممعودين –نسبة إلى المعدة– الغارقين فى شهواتهم . إن الله نعى على قوم ولعهم باللذائذ وافتتانهم بالمرح واللهو، وانحصارهم فى مطالب الجسد ودنيا الغرائز السفلى، فقال : (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) . وعندما يلقون عقوبتهم يُذكرون بأن ذلك لفقدانهم العفاف والقصد، وانطلاقهم مع الغواية والمجون .

والحق أن كفلا ضخما من تصدع الدولة الإسلامية يرجع إلى ضياع العفة وشيوع الملذات، وقد حذر رسول الله . ﷺ أمته من هذا الانحلال النفسى . فعن أبى برزة أن النبى . ﷺ قال: " إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ، ومضلات الهوى "[1] . إن الإسلام بدأ بين قوم فقراء، يحجزهم الإقلال عن إدراك المباحات فضلا عن التشبع من الطيبات وكانت حالة الشظف التى يعانونها مثار شكواهم . عن أبى هريرة: " رأيت سبعين من أهل الصفة ، ما منهم رجل عليه رداء ، إما إزار وإما كساء ، قد ربطوها فى أعناقهم . فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ

(١) رواه البزار بإسناد صحيح – رقم ٣٢٧٦

الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته " . والفقر نكبة موجعة، ومن حق الناس أن يتخلصوا من هذا البلاء، والإسلام نفسه يجعل مباهج الدنيا من حق الذين آمنوا. وكان رسول الله . ﷺ يخشى أن يكون هناك رد فعل لهذا الحرمان الشديد عندما يسود الإسلام وتنتشر مبادئه، فحذر من الحال الأخرى التى ستحدث بعد وفاته، فبين أنه إن كان فقد الدنيا شرا، فالافتتان بها والتطاحن عليها شر أشد . إن التوسط لب الفضيلة والتوسط هنا أن تملك الحياة لتسخرها فى بلوغ المثل العليا، لا أن تملكك الحياة فتسخرك لدناياها، ولا أن تحرم من الحياة أصلا فتقعد ملوما محسورا . وهذا ما عناه النبى . ﷺ عندما قال: " والله ما الفقر أخشى عليكم. ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"[١].

**المطلب الخامس : الأمانة**

الإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ، تُصان به حقوق الله وحقوق الناس، وتحرس به الأعمال من دواعى التفريط والإهمال، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أمينا ، والأمانة فى نظر الشارع واسعة الدلالة، وهى ترمز إلى معان شتى، مناطها جميعا شعور المرء بتبعته فى كل أمر يُوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه، على النحو الذى أجمله قول الله تعالى ( {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨] وفصله الحديث الكريم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته"[٢] .

(١) صحيح البخاري (٣/ ١١٥٢) أبواب الْجِزْيَةِ والموادعة ) ١ ( ١ بَاب الْجِزْيَةِ وَالْمُوَادَعَةِ مع أَهْلِ الذمة والحرب .
(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٠٤) كِتَاب الْجُمُعَةِ بَاب الْجُمُعَةِ في الْقُرَى وَالْمُدُنِ

وبأدنى نظرة على نصوص الوحي نجد أنها اتفقت على لزوم وصف الأمانة – كقاسم مشترك مع صفات أخرى [١]– عند كل من يؤهل لتولي مسئولية مهما صغرت، فكان رسولنا ﷺ فى حياته الأولى قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين.

كذلك شوهدت مخايل الأمانة على موسى ﷺ حين سقى لابنتى الرجل الصالح ورفق بهما، واحترم أنوثتهما، وكان معهما عفيفا شريفا: (قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين).

كما كانت (الأمانة) صفة ثابتة واضحة عند يوسف ﷺ ، صدع بها أمام ملك مصر حين أراد أن يوليه بعض شئون الحكم {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٤، ٥٥]

فوصفه الملك بصفتين ، الأولى : (مكين) أي : ذو مكانة ومنزلة ، وهي تدل على محبة الملك له وثقتة فيه، والأخرى (أمين ) : أي مؤتمن على كل شيء ، وهي تدل على كفاءته واستحقاقه الولاية ، وحين أعاد يوسف الكلام ، وطلب الولاية ، ذكر صفتي (حفيظ عليم)، وكلتاهما تدلان على الكفاءة "إِنِّي حَفِيظٌ لها ممن لا يستحقها. عَلِيمٌ بوجوه التصرف فيه" [٢]

والمتدبر يرى بين (الأمين) و(الحفيظ) تقاربا في المعنى ، قال البغوي : "وَقِيلَ: حَفِيظٌ لِمَا اسْتَوْدَعْتَنِي عَلِيمٌ بِمَا وَلَّيْتَنِي " [٣] ويرى كذلك أن تعبير الملك –أمين– أعم، وتعبير يوسف –حفيظ– أدق ، إذ إن كثيرا من الناس يؤتمنون ، لكن من يحفظون الأمانة قلة !! ويرى –أعني المتدبرفي الآية– أخيرا أن هناك –ما يمكن أن يسمى–

(١) كالقوة والعلم ، كما ستظهر الآيات بعد .
(٢) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٦٨)
(٣) تفسير البغوي - إحياء التراث (٢/ ٤٩٨)

إجماعا –من (الملك) و(النبي)– على ضرورة وجود هذه الصفة في كل من يتولى أمرا من أمور الرعية .

كما كانت الأمانة صفة واضحة عند جليس سيدنا سليمان من الجن ، حين طلب سليمان عليه السلام أن يحضروا له عرش ملكة سبأ ( قالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(٣٨) قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩))

**وللأمانة صور ومعان شتى ،**

**منها** : وضع كل شيء فى المكان الجدير به، واللائق له، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذى ترفعه كفايته إليها. واعتبار الولايات والأعمال العامة أمانات مسئولةً ثابتٌ من وجوه كثيرة : فعن أبى ذر قال: قلتُ يا رسول الله ألا تستعملنى؟ قال : فضرب بيده على منكبى، ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها" [١] . إن الكفاية العلمية أو العملية ليست ملازمة لصلاح النفس، فقد يكون الرجل رضى السيرة حسن الإيمان، ولكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة ما يجعله منتجا فى وظيفة معينة. ألا ترى إلى يوسف الصديق؟ إنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته وتقواه فحسب، بل بحفظه وعمله أيضا: (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) وأبو ذر لما طلب الولاية لم يره الرسول جلدا لها[٢]فحذره منها.

(١) صحيح مسلم (3/ 1457) كِتَاب الْإِمَارَةِ بَاب كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ حديث رقم ١٨٢٥

(٢) من كلام أصحاب التراجم عن أبي ذر يمكن القول إن عمره يوم أسلم كان خمسة وعشرين عاما تقريبا ، إذ ورد أنه (كان قبل إسلامه قاطع طريق)، وهذه مهمة لا يقوم بها صغار السن، كما أن إسلامه كان قبل الجهر بالدعوة، (وكان من أول من أسلم (رابع أربعة)، ثم إنه (حين أسلم رجع الى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق)، أي أنه أقام فيهم بعد إسلامه زهاء عشرين سنة؛ فإذا صح الفرض أن عمره يوم أسلم كان (خمسة وعشرين) فإن عمره حين رجع للنبي وطلب الإمارة كان (خمسا واربعين) سنة تقريبا ، وبذا فقد انتهت مرحلة الشباب عنده ، ولعل هذا سبب أن قال له النبي ص إنك ضعيف !!. راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٢٢٦)

**ومنها** : أن نصطفى للأعمال أحسن الناس قياما بها، فإذا ملنا عنه إلى غيره . لهوى أو رشوة أو قرابة . فقد ارتكبنا . بتنحية القادر وتولية العاجز . خيانة فادحة. فعن يزيد بن أبى سفيان: قال لى أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام: يا يزيد ، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ: " من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم"[١] والأمة التى لا أمانة فيها، هى الأمة التى تعبث فيها الشفاعات بالمصالح المقررة، وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء، لتهملهم وتقدم من دونهم،

**ومنها** : أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملا فى العمل الذى يُناط به، وأن يستنفد جهده فى إبلاغه تمام الإحسان، أجل إنها لأمانة يمجدها الإسلام: أن يخلص الرجل لشغله وأن يعنى بإجادته، وأن يسهر على حقوق الناس التى وُضعت بين يديه، فإن استهانة الفرد بما كُلف به . وإن كان تافها . تستتبع شيوع التفريط فى حياة الجماعة كلها، ثم استشراء الفساد فى كيان الأمة وتداعيه برمته

**ومن الأمانة** ألا يستغل الرجل منصبه الذى عين فيه، لجر منفعة إلى شخصه وقرابته، فإن التشبع من المال العام جريمة. والمعروف أن الحكومات أو الشركات تمنح مستخدميها أجورا معينة، فمحاولة التزيد عليها بالطرق الملتوية هى اكتساب للسحت. قال رسول الله . ﷺ : " من استعملناه عل عمل فرزقناه رزقا ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول" [٢] لأنه اختلاس من مال الجماعة الذى ينفق فى حقوق الضعفاء والفقراء، ويُرصد للمصالح الكبرى: (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) .

(١) رواه الحاكم في مستدركه وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه - المستدرك على الصحيحين ( ١٠٤/٤ ) .
(٢) صحيح : سنن أبي داود (٣/ ١٣٤) كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ بَاب في أَرْزَاقِ الْعُمَّالِ .

## المبحث الثالث

## (مهمة الشباب الوطنية في ضوء آيات القرآن الكريم )

يأمل القرآن الكريم من أبناء الوطن أن يكونوا نافعين لأوطانهم، وأن لا يكونوا عالة عليه في أي مجال ، وأن يرتقوا به إلى أعلى مكانة، وأن يكونوا صورة مشرفة له بين سائر الأوطان

وفي سبيل ذلك بَيَّن بالإجمال وشيء من التفصيل –كما سبقت الإشارة في المبحث الثاني – كيف يصل الشباب إلى هذه المرحلة ، ثم عرض –وسيأتي تفصيل ذلك هنا– لنماذج من شباب خدموا أوطانهم في مجالات عدة ، من ذلك :

### المطلب الأول

مهمة الشباب الوطنية في ضوء آيات القرآن الكريم

### الفتية أصحاب الكهف

تقدم أنه لا تعارض بين حب الوطن والدين، وأن كلا منهما –وما ينبني عليه من الولاء– أمر مشروع،وأنه إذا تعارضا فالدين مقدم على الوطن،وهذه نقطة البداية في قصة هؤلاء الفتية، فقد كانوا جميعا مواطنين عاديين،كل منهم في موقع معين،غير أنهم خالفوا قومهم في عقيدتهم [1]، إذ كان قومهم وثنيين، ومالوا هم إلى توحيد الله سبحانه ، وقص الله تعالى خبرهم في هذه السورة، على ما نبينه في الصفحات الآتية:

قال تعالى (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى

(١) قال العلامة ابن كثير : " وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِ المسيح عيسى ابن مريم، فالله أَعْلَمُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ مِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ بالكلية، فإنهم لَوْ كَانُوا عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ لَمَا اعْتَنَى أَحْبَارُ الْيَهُودِ بِحِفْظِ خَبَرِهِمْ وَأَمْرِهِمْ لِمُبَايِنَتِهِمْ لَهُمْ " تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/ ١٢٧) .

(١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا )

قبل أن أعرض للمستفاد من هذه القصة ، أذكر ما قاله فيها العلامة ابن كثير رحمه الله ، حيث يقول : "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أُولَئِكَ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ فَرُّوا بِدِينِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ لِئَلَّا يَفْتِنُوهُمْ عنه فهربوا منهم ، فلجأوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ لِيَخْتَفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا حِينَ دَخَلُوا سَائِلِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رَحْمَتَهُ وَلُطْفَهُ بِهِمْ (رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) أَيْ هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تَرْحَمُنَا بِهَا وَتَسْتُرُنَا عَنْ قَوْمِنَا (وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً) أَيْ وَقَدِّرْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا هَذَا رَشَدًا أَيْ اجْعَلْ عَاقِبَتَنَا رَشَدًا،.. فَأَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حِينَ دَخَلُوا إِلَى الْكَهْفِ فَنَامُوا سِنِينَ كَثِيرَةً، (ثُمَّ بَعَثْناهُمْ) أَيْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ تِلْكَ، وَخَرَجَ أَحَدُهُمْ بِدَرَاهِمَ مَعَهُ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ بِهَا طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ ، مِنْ هَاهُنَا شَرَعَ سبحانه فِي بَسْطِ الْقِصَّةِ وَشَرْحِهَا ، فقال (نحن نقص عليك نبأهم بالحق ..)، فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ وَهُمُ الشَّبَابُ، وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ وَأَهْدَى لِلسَّبِيلِ مِنَ الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا فِي دِينِ الْبَاطِلِ، وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ الْمُسْتَجِيبِينَ لله تعالى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا، وَأَمَّا الْمَشَايِخُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَعَامَّتُهُمْ بَقُوا عَلَى دِينِهِمْ وَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ. وَهَكَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِتْيَةً شبابا، وقال مُجَاهِدٌ: بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ فِي آذَانِ بَعْضِهِمُ الْقِرَطَةُ يَعْنِي الْحَلَقَ، فَأَلْهَمَهُمُ اللَّهُ رُشْدَهُمْ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ، فَآمَنُوا بِرَبِّهِمْ أَيْ اعْتَرَفُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَشَهِدُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَزِدْناهُمْ هُدىً ، (وربطنا على قلوبهم ) وَصَبَّرْنَاهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ قَوْمِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ وَمُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَالسَّعَادَةِ وَالنِّعْمَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِ الرُّومِ وَسَادَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ خَرَجُوا يَوْمًا فِي بَعْضِ أَعْيَادِ قَوْمِهِمْ وَكَانَ لَهُمْ مُجْتَمَعٌ فِي السَّنَةِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالطَّوَاغِيتَ،

وَيَذْبَحُونَ لَهَا، وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ جَبَّارٌ عَنِيدٌ يُقَالُ لَهُ دَقْيَانُوسُ،. وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ وَيَحُثُّهُمْ عَلَيْهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ لِمُجْتَمَعِهِمْ ذَلِكَ، وَخَرَجَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ مَعَ آبَائِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، وَنَظَرُوا إِلَى مَا يَصْنَعُ قَوْمُهُمْ بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِمْ، عَرَفُوا أَنَّ هَذَا الَّذِي يَصْنَعُهُ قَوْمُهُمْ مِنَ السُّجُودِ لِأَصْنَامِهِمْ وَالذَّبْحِ لَهَا لَا يَنْبَغِي إلا الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَخَلَّصُ مِنْ قَوْمِهِ وَيَنْحَازُ مِنْهُمْ وَيَتَبَرَّزُ عَنْهُمْ نَاحِيَةً ، ..حَتَّى تَوَافَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَصَارُوا يَدًا وَاحِدَةً، وَإِخْوَانَ صِدْقٍ، فَاتَّخَذُوا لَهُمْ مَعْبَدًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ، فَعَرَفَ بِهِمْ قَوْمُهُمْ فَوَشَوْا بِأَمْرِهِمْ إِلَى مَلِكِهِمْ فَاسْتَحْضَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ بِالْحَقِّ وَدَعَوْهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَيُقَالُ إِنَّ مَلِكَهُمْ لَمَّا دَعَوْهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَبَى عَلَيْهِمْ وَتَهَدَّدَهُمْ وَتَوَعَّدَهُمْ، وَأَمَرَ بِنَزْعِ لِبَاسِهِمْ عَنْهُمُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ زِينَةِ قَوْمِهِمْ، وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دِينَهُمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ هَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِي تِلْكَ النَّظْرَةِ تَوَصَّلُوا إِلَى الْهَرَبِ مِنْهُ وَالْفِرَارِ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتْنَةِ .. فَلَمَّا وَقَعَ عَزْمُهُمْ عَلَى الذَّهَابِ وَالْهَرَبِ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَاخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ أي وإذ فَارَقْتُمُوهُمْ وَخَالَفْتُمُوهُمْ بِأَدْيَانِكُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ، فَفَارِقُوهُمْ أَيْضًا بِأَبْدَانِكُمْ، (فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ )أَيْ يَبْسُطْ عَلَيْكُمْ رَحْمَةً يَسْتُرُكُمْ بِهَا مِنْ قومكم وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مِرفَقاً أَيْ أَمْرًا تَرْتَفِقُونَ بِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا هِرَابًا إِلَى الْكَهْفِ فَأَوَوْا إِلَيْهِ، فَفَقَدَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ وَتَطَلَّبَهُمُ الْمَلِكُ، فَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ وَعَمَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَبَرَهُمْ كَمَا فَعَلَ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَاحِبِهِ الصِّدِّيقِ حين لجئا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ" [(١)] انتهى ملخصا من تفسير ابن كثير ، **ولنا مع آيات هذه القصة الكريمة وقفات** [(٢)] :

(١)تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/ ١٢٦)

(٢) هذه الوقفات هي السبب في تخصيص مبحث للكلام عن هذه القصة .

**الأولى** : ورد أن من سنن يوم الجمعة قراءة سورة الكهف [١] ، وتخصيص هذه السورة بالقراءة في هذا اليوم الفضيل ؛ قد يكون لما تتضمنه من قصص عن أربع فئات من الناس يعدون أصول المجتمع ، وهي (الشباب في قصة أهل الكهف، الأغنياء في قصة صاحب الجنتين، العلماء في قصة موسى والخضر، الحكام في قصة ذي القرنين) ، وهذه القصة –أي قصة أصحاب الكهف– أول قصة جاءت في هذه السورة الكريمة وهي تحمل رسالة ضمنية للشباب ، تتلخص في ضرورة التزام الشباب بدينهم وعدم انجرارهم إلى الشهوات أو الانسياق خلف اللهو الباطل ، وهذا واضح من الآيات الآتية : (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها) (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) ، ومن ثم يأتي التوجيه القرآني تعقيبا على ذلك المعنى الأبرز في القصة : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا).

**الثانية** : جاء في سبب نزول هذه السورة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا قَدِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا نَشَأَ فِينَا بِالْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ وَمَا اتَّهَمْنَاهُ بِكَذِبٍ، وَقَدِ ادَّعَى مَا ادَّعَى، فَابْعَثُوا نَفَرًا إِلَى الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ وَاسْأَلُوهُمْ عَنْهُ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فَبَعَثُوا جَمَاعَةً إِلَيْهِمْ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ فَإِنْ أَجَابَ عَنْ كُلِّهَا أَوْ لَمْ يُجِبْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا، فَلَيْسَ بِنَبِيٍّ، وَإِنْ أَجَابَ عَنِ اثْنَيْنِ وَلَمْ يُجِبْ عن واحد فَهُوَ نَبِيٌّ فَسَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ فُقِدُوا فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ وَعَنْ رَجُلٍ بلغ مشرق الأرض ومغربها وما خَبَرُهُ، وَعَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُخْبِرُكُمْ بِمَا

(١) أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ص * من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه ومن توضأ ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . انظر : المستدرك على الصحيحين – للحاكم (١/ ٧٥٢)

سَأُلْتُمْ غَدًا» وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَبِثَ الوحي، قال مجاهد: اثنتي عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَقِيلَ: خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَهْلُ مَكَّةَ يَقُولُونَ: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا وَقَدْ أَصْبَحْنَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ، حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مُكْثِ الْوَحْيِ وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ نَزَلَ جِبْرِيلُ " [1] وابتداء قصص السورة الكريمة بهذه القصة –أعني قصة الشباب– وتقديمها على ما سواها ، يشير إلى مدى أهمية الشباب ، وأن نهضة أي وطن تبدأ من عندهم ، دون غيرهم.

**الثالثة** : أن هؤلاء الشباب –رغم خوفهم من قومهم، وتركهم لبلدهم– لم تصدر منهم إساءة لوطنهم، ولم يذكر القرآن عنهم أنهم أفسدوا فيه، بل غاية ما فعلوه أنهم نصحوا قومهم [2] –كما تذكر بعض الروايات– ثم لما يئسوا من إيمانهم وخافوا على أنفسهم من بطشهم قرروا أن يعتزلوهم ؛ ليسلم لهم دينهم (وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف .. ) حتى إنهم لما بعثهم الله سبحانه، ومسهم الجوع، وأرادوا طعاما، لم يسرقوا من المال العام، ولم يستبيحوا مال مخالفيهم في العقيدة –شركاءهم في الوطن– بل قالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ، فلينظر أيها أزكى طعاما ، فليأتكم برزق منه ، وليتلطف ، ولا يشعرن بكم أحدا) .

فقرروا أن يشتروا بمالهم ، لا أن يسرقوا أو يتسولوا أو يفسدوا ، فقالوا : (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) والورق : الفضة مضروبة أو غير مضروبة، وأرادوا الطعام الحلال، لا ما حرم عليهم في شريعتهم ، فقوله : (أزكى طعاما) قال ابن عباس وسعيد بن جبير: أحلّ ذبيحة، لأن عامّتهم كانوا مجوسا، وفيهم قوم مؤمنون يخفون

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث (٣/ ١٥٩) .
(٢) انظر : تفسير قوله تعالى (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض) في تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٦١٥) ، تفسير البغوي - طيبة (٥/ ١٥٦).

إيمانهم[١]، وآثروا الأسلوب الحسن مع الناس : (وليتلطف)، حتى مع يقينهم بأنهم يتعاملون مع مخالف لهم في العقيدة .

وفي ذلك كله هدايات للشباب في كل زمان ومكان عن فقه التعايش مع المخالف ، وفقه التعامل مع الآخر، وفيه كذلك ضرورة الحفاظ على الوطن ومقدراته وعدم جعله محلا للفساد .

**الرابعة** : كان القاسم المشترك الأعظم بين هؤلاء : العمر (إنهم فتية)، ثم الدين والعقيدة (آمنوا بربهم)، ومتى صحت العقيدة في النفوس تعالت على كل رابط سواها ، ولم تبال بشيء دونها ، (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا)

رغم أن بعض الروايات –المقبولة تفسيرا– تقول إنهم لم يكونوا جميعا من طبقة اجتماعية واحدة، إلا أن تقارب العمر لا يلتفت معه إلى الطبقة الاجتماعية، ومع ذلك وحدتهم العقيدة، وربط بينهم الإيمان .

(١) تفسير الثعلبي ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ١٦١).

## المطلب الثاني

## نماذج ذكرها القرآن الكريم لمهمات الشباب

المتصفح لآيات القرآن الكريم –القصص خاصة– يجد أن هناك وظائف وأعمالا عدة ، قام بها الشباب في أزمنة وأمكنة مختلفة ، تنوعُ هذه الوظائف من جهة ، وقيامُ الشباب بها من جهة أخرى يدل على ضخامة الدور الذي ينبغي أن يقوم به الشباب في خدمة أوطانهم ، وهذا ما نوضحه في الصفحات الآتية :

**المهمة الأولى : الدور السياسي للشباب (رجال الدولة) :**

اخترت التعبير بمصطلح (رجل الدولة) لانطباقه على كل من يخدم الدولة سواء كان داخلها أم خارجها ، وعليه : يدخل تحت هذا المصطلح من يخدم الوطن علانية وفي وضوح ، ومن يخدمها خفية ، فمن الأولين : الوزراء والحكام وأصحاب الرأي في الحكومات ، ومن الآخرين : الجواسيس والعيون ، وقد ذكر القرآن خبرا عن الفئتين ، ودونك التفصيل :

**أولا : الشباب الوزراء**

- **سيدنا يوسف عليه السلام :**

تطالعنا في هذا المبحث قصة نبي الله يوسف عليه السلام إذ مر بمرحلتين في هذا المجال ، الأولى : تنشئته في قصر الملك ، ومعاينته مراسم الحكم وأصول السياسة ، مما أكسبه خبرة كبيرة في مجال الحكم ، والثانية : عمله وزيرا على أمور الخزانة لملك مصر، بعد خروجه من السجن ، يقول الله سبحانه ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٤ – ٥٦] .

قال البيضاوي : " (قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ) أي: ولني أمرها ، والأرض أرض مصر. (إِنِّي حَفِيظٌ) لها ممن لا يستحقها. (عَلِيمٌ) بوجوه التصرف فيه،

ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده، وفيه دليل على جواز طلب التولية، وإظهار أنه مستعد لها، والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به".[١]

وما قاله رحمه الله –ونطق به مطلع الآيات– يدفع عن سيدنا يوسف شبهتي طلب الملك ، والتولي من يد غير المسلم ، حيث إن الملك هو من طلب يوسف ؛ ليستعمله (وقال الملك ائتوني به ؛ أستخلصه لنفسي) فلما رأى يوسف أن الملك سيستعمله لا محالة ؛ اختار العمل الذي يناسبه ، إذن يوسف عليه السلام لم يطلب الإمارة ، وأما التولي من يد غير المسلم فلعل ذلك لم يكن منهيا عنه في شريعته عليه السلام ، وسيأتي مزيد بيان للرد عن هذه الشبهة بعد قليل بإذن الله.

ولو دققنا في مجموع الآيات التي تقص علينا خبر يوسف عليه السلام ، لوجدنا أنه تولى هذا المنصب في مرحلة الشباب ، فقد أخرج من بيت أبيه صبيا قبل بلوغه، ثم انتقل لبيت العزيز حتى (بلغ أشده ) وبعد مراودة امرأة العزيز (لبث في السجن بضع سنين) ثم لما خرج تولى هذا المنصب ، فيمكن تقدير عمره عليه السلام آنذاك ما بين الثلاثين والأربعين ، وهو عمر الشباب .

وليس العجب من فراسة الملك في يوسف عليه السلام في زمانه، ولا من حرص دول الغرب في زماننا على تأهيل الشباب وتوظيفهم والإفادة من طاقاتهم ؛ ليكونوا (رجال دولة ) !! بل العجب ممن يضيعون هذه الطاقات ويهدرونها .

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٦٨).

- **سيدنا سليمان:**

ولا يسعنا أن نطرق هذا الدور للشباب ممثلا في سيدنا يوسف عليه السلام ونغضي الطرف عن شاب آخر كان –منذ صغره– في سدة الحكم ، ثم لما كبر صار ملكا لكل الدنيا ، وهو سيدنا سليمان عليه السلام

فكما مر سيدنا يوسف عليه السلام وهو شاب بمرحلتين في الحكم ، كان من نصيب سيدنا سليمان عليه السلام –وهو في شبابه أيضا– أن يقوم بمهمتين ، أو يمر بمرحلتين :

**المهمة أو المرحلة الأولى كونه في بطانة الملك (أبيه داود عليهما السلام)** ، وفي هذه المرحلة – كما نفهم من إشارة القرآن الكريم– كان يحضر مجالس الحكم مع أبيه ؛ فيسمع، ويناقش، ويكتسب خبرة في مجال الحكم ، وقد أثنى القرآن الكريم عليه في قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) وجمهور المفسرين على أن وصفه ب (نعم العبد) لأنه كان كثير الرجوع إلى الله شديد الإقبال عليه سبحانه ، ولكن استفتاح الآية بقوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان) –بعد ذكر ما جرى لداود عليه السلام من أمر الخصمين– يوحي أن سيدنا سليمان كان مُعِينا لأبيه في الحكم في الأيام التي يتفرغ فيها داود لعبادته ، فكان سليمان يمارس الحكم والقضاء بين يدي أبيه ، عليهما السلام ، وقد كان هذا تأهيلا له عليه السلام ليكون –فيما بعد– ملكا ، وهو ما يدل عليه –بوضوح أكثر– قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) فهما الآن يحكمان معا، وقد صار سليمان –بعد تمرسه في أمور الحكم والقضاء بين الناس– أفهم من أبيه لهذه المسألة وكان هذا نتيجة طبيعية لمعاينته أحوال الحكم والقضاء ، كما قال سبحانه (ففهمناها سليمان)؛ ولعل ذلك لانشغال أبيه في بعض أيامه بالانقطاع عن الناس ، كما صرحت بذلك آيات القصة.

قال العلامة ابن كثير : " (وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) قَالَ: كَرْمٌ قَدْ أَنْبَتَتْ عَنَاقِيدُهُ فَأَفْسَدَتْهُ، قَالَ: فَقَضَى دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْكَرْمِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: غير هذا يا نبي الله: قال: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَدْفَعُ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْكَرْمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَرْمُ كَمَا كَانَ دَفَعْتَ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا، فذلك قوله: فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ

وعن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لصحاب الحرث فخرج الرعاة مَعَهُمُ الْكِلَابُ، فَقَالَ لَهُمْ سُلَيْمَانُ: كَيْفَ قَضَى بَيْنَكُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: لَوْ وَلَيْتُ أَمْرَكُمْ لَقَضَيْتُ بِغَيْرِ هَذَا، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ دَاوُدُ، فَدَعَاهُ فَقَالَ: كَيْفَ تَقْضِي بَيْنَهُمْ؟ قَالَ: أَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْحَرْثِ، فَيَكُونُ لَهُ أَوْلَادُهَا وَأَلْبَانُهَا وَسِلَاؤُهَا وَمَنَافِعُهَا، وَيَبْذُرُ أَصْحَابُ الْغَنَمِ لِأَهْلِ الْحَرْثِ مِثْلَ حَرْثِهِمْ، فَإِذَا بَلَغَ الْحَرْثُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، أخذه أصحاب الْحَرْثَ وَرَدُّوا الْغَنَمَ إِلَى أَصْحَابِهَا " [1].

ثم كان أن أعطى الله سبحانه كلا منهما ما برع فيه، ففتح لداود عليه السلام أبواب القرب منه فشغله بالعبادة وحباه صوتا نديا كانت الجبال والطير تسبح معه إذا ترنم !! وفتح لسليمان خزائن ملكه (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد) ، وهذه كانت ..

**المهمة أو المرحلة الثانية : كونه ملكا عظيما بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها**

وهو ما صرحت به آيات عدة ، كقوله تعالى {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} [البقرة: ١٠٢] "قوله: {على مُلْكِ سُلَيْمَانَ} فيه قولان: أحدُهما: أنه على معنى في، أي: في زمنِ ملكِه، والمُلْكُ هنا شَرْعُه. والثاني: أَنْ يُضَمَّن تَتْلو معنى: تتقوَّل أي:

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/ ٣١١) .

تتقوَّل على مُلْكِ سليمان، وتَقَوَّل يتعدَّى بعلى، قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويل} [الحاقة: ٤٤] . وهذا الثاني أَوْلَى، فإن التجَوُّز في الأفعالِ أَوْلَى مِن التجوُّز في الحُروف، وهو مذهبُ البصريينَ " [١] قلت : وإجراء الملك على ظاهره أولى من تأويله بالنبوة وغيرها ، إضافة إلى أن آيات القرآن الكريم تدعم هذا الظاهر ، كما في قوله تعالى {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (الأنبياء: ٣٥) وقوله تعالى {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ } [النمل: ٣٤، ٣٥] ولا شك أنها تريد بالملوك (سليمان) خاصة ، بدليل ما بعده (وإني مرسلة إليهم بهدية) وقد أرسلت إلى سليمان فقط .

وقد بلغ من ملكه عليه السلام ما وصف رب العزة سبحانه في قوله { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} [الأنبياء: ٨١- ٨٢] وقوله تعالى (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠)} [ص: ٣٦ – ٤٠] وفيها تصريح بضخامة الملك الذي خوله الله تعالى لسليمان عليه السلام .

**ثانيا : المهمة الاستخباراتية :**

نقف هنا مع آيتين كريمتين ، وهما قوله تعالى ( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ... ) وقوله سبحانه (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه .. ) .

تذكر كتب التفاسير أن هذا الرجل الناصحَ موسى في سورة القصص، هو مؤمن آل فرعون المذكور في سورة غافر ، ونفهم من كلام القرآن الكريم عنه في الموطنين ، ومما قاله المفسرون في تفاسيرهم عدة أمور :

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – للسمين الحلبي (٢/ ٢٩).

أولا : أن هذا الرجل قام بمهمة (استخباراتية) لصالح موسى ﷺ ، إذ كان في بطانة فرعون ولم يعلم به أحد –وهذا منطوق قوله تعالى (يكتم إيمانه)– ، وحين علم بما يدبر لموسى ﷺ جاءه يخبره بما علمه " فلما أمر –أي فرعون– بقتله، جاء موسى مخبرٌ ، وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر، بلد فرعون وقومه" . (١)

ثانيا : مجيء الفعل (يسعى) صفة للرجل في موطنين (٢)، يدل على المرحلة العمرية وهي مرحلة الشباب، التي أشرنا في المقدمة إلى أن القرآن الكريم عبر عنها ب(بلوغ السعي)، كما يدل على القوة الملازمة لهذه الحركة، "ويَسْعى معناه يسرع في مشيه"(٣).

ثالثا : كثرة ما قصه القرآن من كلام على لسان هذا الرجل (٤) تشير إلى طول المدة التي أقامها في قصر فرعون ، كما تشير إلى فطنة في التعامل مع هذا الوسط، إذ استطاع أن يكتم إيمانه فترة ليست بالقصيرة ، كما استطاع أن يدلي برأيه في قضايا عدة بعضها يمس موسى ، وبعضها يمس عموم الناس ، بل يمكن القول إنه استطاع أن يُكَوِّنَ (رأيا عاما) من رجالات الملأ فيما يتعلق بمسألة قتل موسى !! يشير إلى ذلك قول فرعون الذي حكاه القرآن الكريم (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) يقول البيضاوي : " كانوا يكفونه عن قتله ويقولون إنه ليس الذي تخافه بل هو ساحر، ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة" (٥) فمن –غير هذا الرجل– يمكن أن يكون قد كلمهم بهذا الخصوص وأقنعهم به ؛ حتى كلموا فيه فرعون ؟!!.

(١) انظر : تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٥) ، الهداية الى بلوغ النهاية (٨/ ٥٥٠٨) ، تفسير القرطبي (١٣/ ٢٦٦) بتصرف .
(٢) الموطن الثاني في سورة يس "وهما رجلان مختلفان وقصَّتان متباينتان". الدر المصون (٦٦/٨) .
(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٨٢).
(٤) راجع سورة غافر : الآيات من ٢٨ – ٤٤ .
(٥) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٥٥).

رابعا : وصف القرآن الرجل (بالرجولة) في الموطنين ، ففي الموطن الأول يقول ابن كثير: "وَصَفَهُ بِالرُّجُولِيَّةِ، لِأَنَّهُ خَالَفَ الطَّرِيقَ، فَسَلَكَ طَرِيقًا أَقْرَبَ مِنْ طَرِيقِ الَّذِينَ بُعِثُوا وَرَاءَهُ، فَسَبَقَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ أَيْ يَتَشَاوَرُونَ فِيكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ أَيْ مِنَ الْبَلَدِ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ".(١) وهذا محمول منه رحمه الله على تفسير الرجولة بمعنى القوة الجسدية، وفي الموطن الثاني –في سورة غافر– واضح أن الرجل لم يأت بعمل جسدي بطولي، بل كانت رجولته هي بقاؤه بين ملأ فرعون ، على ما بينته في ثالثا .

**وهنا تعرض شبهة حول حكم مساعدة الملك الظالم !!** إذ كيف يكون مؤمنا ويكون في بطانة فرعون، والآيات القرآنية –منطوقا ومفهوما– تمنع ذلك؟ قال سبحانه: (قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) قال في التسهيل : "ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجور" (٢).

وقال في البحر: "وَاحْتَجَّ أَهْلُ الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَنْعِ مَعُونَةِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَخِدْمَتِهِمْ، نَصَّ عَلَى ذَلِكَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ رَجُلٌ لِعَطَاءٍ: إِنَّ أَخِي يَضْرِبُ بِعِلْمِهِ وَلَا يَعْدُو رِزْقَهُ، قَالَ: فَمَنِ الرَّأْسُ، يَعْنِي مَنْ يَكْتُبْ لَهُ؟ قَالَ: خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ (٣)، قَالَ: فَأَيْنَ قَوْلُ مُوسَى؟ وَتَلَا الْآيَةَ " (٤).

**ويمكن دفع هذه الشبهة** : بأن الرجل لم يساعد فرعون في ظلم ، إنما كان يدفع عن المظلومين ما استطاع ، وهذا ما صرحت به آيات القصة ، وكذلك يوسف عليه السلام حين استعمله ملك مصر على الخزانة لم يكن يساعد ملكا على ظلم ، إنما

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/ ٢٠٣).
(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١١١).
(٣) «خالدُ بنُ عَبدِ اللَّهِ بن يزيد بن أسد بن كرز البَجَليُّ القَسْرِيُّ اليَمانيُّ . كانَ أحد ولاة الحجاج بن يوسف ، وهو الذي أحضر سعيد بن جبير للحجاج ليقتله ، مات مقتولا بالكُوفةِ، قَريبٌ مِن سَنةِ مِائةٍ وعِشرينَ» انظر : «المعارف» لابن قتيبة (١/ ٣٩٨) ، «التاريخ الكبير» للبخاري (٣/ ٥٧٣ ت الدباسي والنحال) ، «قبول الأخبار ومعرفة الرجال» للكعبي (١/ ٢٦٥).
(٤) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٩٣).

كان يدفع الضر والمجاعة عن عموم الناس ، ويمكن أن نستنبط من القصتين أن الدخول في بطانة ظالم والعمل له إذا كان بغرض دفع ظلمه ، مع القدرة على ذلك فلا مانع منه شرعا ، وتحمل أدلة المنع على من لم يستطع منع الظلم ودفع الضر . والله تعالى أعلم .

**ثالثا : المرأة الحاكمة.**

لا يقتصر العمل من أجل الدولة ، وخدمةُ الوطن على الرجال فقط ، فالقرآن الكريم يذكر لنا خبر ملكة سبأ ، وهي امرأة وصلت سدة الحكم ، واستطاعت أن تحكم قومها فترة طويلة من الزمن ، وقد جاء ذلك في آيات من سورة النمل ، بدءا من قوله تعالى (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ) [النمل: ٢٢] حتى قوله تعالى {قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )[النمل: ٤٤] ولعل الروايات التي ذكرت أنها أسلمت وتزوجها نبي الله سليمان يرجح كونها كانت شابة في هذا الوقت ؛ إذ إنه ليس من عادات الملوك –وأعظمهم سليمان عليه السلام[١] – أن يتزوجوا العجائز .

وقد حملت آيات القصة المذكورة في سورة النمل طرفا مما قامت به هذه المرأة لخدمة وطنها والدفاع عنه ، فمن ذلك :

**أولا** : أنها حين استشعرت الخطر على مملكتها جمعت أشراف قومها وطلبت رأيهم ، قال تعالى {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ} [النمل: ٢٩ – ٣٢] ، ولا

(١) أقصد من ملوك الأرض طبعا ، وكونه عليه السلام أعظمهم دل عليه قوله تعالى (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) وما في البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ص قال * إِنَّ عِفْرِيتًا من الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ أو كَلِمَةً نَحْوَهَا لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ فَأَمْكَنَنِي الله منه فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إلى سَارِيَةٍ من سَوَارِي الْمَسْجِدِ حتى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إليه كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ { رَبِّ اغفر لي وهب لي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ من بَعْدِي} ينظر : صحيح البخاري (١/ ١٧٦).

شك أن إرساء مبدأ الشورى في كل المؤسسات يضمن سلامتها واستقرارها ، حتى لو أدت الشورى إلى مشاكل وأضرار ، كما جرى في غزوة أحد مثلا .

**ثانيا** : أنها وظفت خبراتها السياسية والمعرفية في قراءة المشكلة –تهديد سليمان عليه السلام لمملكتها– واختارت الحل السلمي؛ حفاظا على بلدها وحقنا لدماء بني وطنها إذا خاضوا حربا ضد جند سليمان عليه السلام، قال تعالى {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٤، ٣٥] فالآية الأولى تنطق بخبرتها ومعرفتها بالملوك وسياستهم، وقد "صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَهَا فَقَالَ: وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ، أَيْ كَمَا قَالَتْ هِيَ يَفْعَلُونَ" [(١)]، والآية الأخرى تنطق بذكائها ورزانتها في التعامل مع هذه المشكلة.

**ثالثا** : أنها حين علمت برد فعل سليمان عليه السلام على هداياها قررت زيارته –فيما يعرف في علم السياسة الحديث ب(وفد رفيع المستوى)– وكأن الغرض منها (طلب هدنة).

**رابعا** : أنها اختارت الحل الأسلم لها ولقومها ، حين دخلت في عهد سليمان ، قال تعالى { قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤] .

فأثبتت بهذه التصرفات –إذا سلمنا أنها كانت في سن الشباب وقتئذ– أنه يمكن للشباب –إذا خاض عالم السياسة وتولى مناصب قيادية– أن يحسن خدمة وطنه ويسير به نحو الاستقرار والرقي والخير .

**المهمة الثانية : الشباب أصحاب الحرف والصناعات**

– للعمل والانتاج دور مهم فى رفع اقتصادات الدول، فبه تتحقق التنمية والاستقرار الاقتصادي، وتزداد أهميته فى الدول النامية خاصة، والتى يجب عليها

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث ( ٥٠٢/٣ ) .

الاهتمام أكثر علمياً وعملياً بموضوعات ومجالات العمل بقصد خلق قيمة مضافه حقيقية للاقتصاد الوطني ، ومن أبرز مجالات العمل التي وردت في القرآن الكريم، مسندة للشباب :(مجال الصناعة ، والثروة الحيوانية ، والإبداع) ودونك إلمامة سريعة بها : .

– **أما الصناعة** فدعامة أساسية من دعائم التطور الاقتصادي للدول، وتتميّزُ الصّناعة بدورها الإيجابيّ والمُؤثّر في البيئة الاقتصاديّة، الإقليميّة والقوميّة، حيث تُسهم فى دفع عملية التنمية فى جميع الدول، كما تسهم فى تطوّر المستوى المعيشيّ للأفراد، ويدل تطورها على التقدم، –– وفى الاقتصاد تعني الصناعة ذلك النشاط البشري الذي يترتب عليه تغيير شكل المواد الخام، أو طبيعتها بمختلف أنواعها، أو بتغييرها جزئياً، لتصبح مواد خام لبعض الصناعات الأخرى،

– وتولي حكومات الدول قطاع الصناعة اهتماماً كبيراً، وتعمل على تطويره، باعتباره رافداً أساسياً من روافد التنمية الاقتصادية، والازدهار الاقتصادي، وبه يتحقق الاكتفاء الذاتي .

–كما تسهم الصناعة في تطوير كثير من القطاعات الأخرى عن طريق المنتجات التي تقدمها لخدمة هذه القطاعات مثل: قطاعات الزراعة، والتجارة، والنقل، والتعليم، والسياحة وغيرها.

– **وأما الثروة الحيوانية** فتعد واحدةً من أهم الدعائم الاقتصادية الزراعية في البلدان النامية، ولا تقتصر أهمّيتها الغذائية على ما تُقدّمه للإنسان من غذاء، بل تُسهم في إنتاج الألياف،والأسمدة، والوقود، والجلود.

– كما تضمن لملايين المزارعين محدوديّ الموارد والذين يمتلكون الحيوانات البقاء على درجة من الاستقرار الاقتصادي والزراعة المستدامة،

–ويُشار إلى أنّ الثروة الحيوانية تُساهم في ما نسبته ٨٠% من إجمالي الناتج المحلّي الزراعي في البلدان النامية، وعلى مستوى العالم أصبحت الثروة الحيوانية أكثر القطاعات الفرعية المهمّة اقتصادياً في الزراعة .

– **وأما الإبداع** فهو قدرة الشخص على استخدام المهارات العقلية لإيجاد أفكار جديدة، خارجة عن المألوف، أوالقدرة على خلق وإيجاد أفكار جديدة ومبتكرة.

– وهو ليس سلوكاً وراثياً، وإنما سلوك قابل للتعلم والتطوير لدى الأفراد .

– وهو بهذا يقوم أساسا على (العلم والمعرفة) لأنه يدخل في جميع مجالات الحياة

*** ولعله لأهمية هذه المجالات الثلاثة في تنمية الوطن واستقراره من جهة ، وفي تكوين شخصية الشباب من جهة أخرى [١] ، فقد ذكرها القرآن في صورة أعمال قام بها شباب ، وكان لها أثر كبير في حياتهم وحياة الناس من حولهم ، وهذا ما نبينه في النقاط الآتية :

**أولا : الشباب المحترف :**

شاءت إرادة الله سبحانه أن يكون كثير من أنبيائه أصحاب حرف، فنوح عليه السلام كان نجارا، وإبراهيم عليه السلام كان بناء، وداود عليه السلام كان حدادا[٢].

ونحن إذا أردنا أن نرتب الصناعات من حيث الأهمية ؛ فإن أهمها هي صناعة الحديد وما ينتج عنه، إذ إن العمل بهذه الصنعة من أهم الصناعات التي تخدم الوطن في شتى المجالات ، خاصة المجالين الاقتصادي والعسكري ، ولعل هذا سبب

(١) سيظهر من هذه الأعمال تحديدا أنها تربي في القائم بها صفات العلم والحلم والقوة ، وهي الصفات التي سبق الإشارة أنها من مكونات شخصية الشباب في القرآن الكريم . راجع الفصل الأول .

(٢) لم أقف على نص يصرح منطوقه بهذه المهن للأنبياء المذكورين ، لكنها مفهومة موافقة من آيات القرآن الكريم ، فتكليف نوح عليه السلام بصناعة السفينة يفهم منه أنه عليه السلام كان نجارا ، وتكليف إبراهيم عليه السلام ببناء البيت يفهم منه أنه كان بناء ، وإلانة الحديد لداود عليه السلام يفهم منه أنه كان حدادا . والله تعالى أعلم .

اختيارها لنبي الله داود عليه السلام الذي كان يعمل –كما نفهم من آيات القرآن الكريم– حدادا ، وإذا أخذنا بقول جمهور المفسرين أن داود عليه السلام كان شابا وقت قتل جالوت ، وآتاه الله الملك وقتها –كما نفهم من آيات القصة في سورة البقرة– فإن الصنعة التي أوتيها (وهي صنعة الحدادة ) كانت في هذه المرحلة العمرية

قال تعالى (وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد) " {وَأَلَنَّا لَهُ الحديد} وجعلناه له ليّناً كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة" (١) ، وقال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم .. ) "وفي المراد باللَّبوس قولان: أحدهما: الدُّروع، وكانت قبل ذلك صفائح، وكان داود أول من صنع هذه الحلق وسرد، قاله قتادة. والثاني: أن اللَّبوس: السلاح كلُّه من درع إِلى رمح " (٢) .

وقد روي "أن داود عليه السلام خرج يوماً متنكراً ليسأل عن سيرته في مملكته، فاستقبله جبريل عليه السلام على صورة آدميّ فلم يعرفه داود فقال: كيف ترى سيرة داود في مملكته؟ فقال له جبريل عليه السلام: نِعْمَ الرجل هو، لولا أن فيه خصلة واحدة. قال: وما هي؟ قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال، وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده. فرجع داود عليه السلام وسأل الله عز وجل أن يجعل رزقه من كدّ يديه، فألان له الحديد، وكان يتخذ منها الدروع ويبيعها ويأكل من ذلك " (٣).

وقد سجل القرآن الكريم موقف شجاعة لسيدنا دود عليه السلام –قبل نبوته– في قصة طالوت وجالوت ، وذلك في آية واحدة في القصة كلها ، في قوله تعالى (فهزموهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة ، وعلمه مما يشاء) وفيها من اللطائف :

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٥٥).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٠٤) .
(٣) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢/ ٤٣٥).

**أولا** : الترتيب بين أجزائها ، وذلك لعمري ترتيب عجيب !! فقد ربطت الآية بين أربعة أشياء : انتصار جند طالوت على جالوت ، ثم تصدر داود مشهد الانتصار بقتله لجالوت ، ثم تتويج تلك الشجاعة من داود بجعله ملكا ، وأخيرا تحصين ذلك الملك بالعلم ،

**ثانيا** : مجيء هذه الآية عقب آية الدعاء (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ) يوحي بأن جميع ما جاء فيها من (قتل داود لجالوت ، جعله ملكا نبيا، تعليمه الحدادة وكلام الطير) كل ذلك من صور النصر التي استجاب الله بها دعاء جند طالوت .

**ثالثا** : يفهم من ترتيب الآية أن تعليم سيدنا داود الحدادة كان بعد نبوءته ، وكانت –كما جاء في بعض التفاسير– معجزته ، إذ ألان الله الحديد له ، فكان يشكله بيده دون الحاجة إلى النار[1] وهذا يدل على أن حرفة الحدادة من أشرف الحرف ، إذ جعلها الله تعالى حرفة نبي ، ملك ، ابنه نبي ملك –أعني سليمان عليه السلام– ومن سلالة نبي ملك ،أعني يوسف عليه السلام .

يقول البيضاوي رحمه الله : " (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ) فكسروهم بنصره، أو مصاحبين لنصره إياهم إجابة لدعائهم. (وَقَتَلَ داوُدُ جالُوتَ) قيل: كان (إيشا) (٢) في عسكر طالوت معه ستة من بنيه، وكان داود سابعهم وكان صغيراً يرعى الغنم، فأوحى الله إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء ، وقد كلمه في الطريق ثلاثة أحجار وقالت له: إنك بنا تقتل جالوت، فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله، ثم زوجه طالوت بنته. (وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) أي ملك بني إسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك. (وَالْحِكْمَةَ) أي النبوة. (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ) كالسرد وكلام الدواب والطير" [3].

---

(١) انظر : «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٨/ ٤٣٠) «لطائف الإشارات = تفسير القشيري» (٣/ ١٧٨) «اللباب في علوم الكتاب» (٤/ ٣٠١) وغيرها .

(٢) المفهوم من هذا الكلام أن إيشا هذا كان والد سيدنا داود وكان في جيش طالوت . والله أعلم بالحق .

(٣) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٢).

**ثانيا : رعي الغنم**

ومن مجالات العمل (العمل في الثروة الحيوانية) ، وأشهره (الرعي) سواء كان رعي الغنم أم رعي الإبل أم غيرهما ، وهو عمل يعود أثره على الراعي قبل أن يعود على الناس من حوله ، وأول آثاره تكون لروح الراعي ونفسه قبل أن تمتد لجسده ، إذ إنه –أعني الراعي– يتعلم من الرعيِ الحلمَ والصبرَ وسعةَ الصدر ، ولعل هذا كان الحكمة في أن يشتغل جميع الأنبياء قبل النبوة برعي الغنم ، فعن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال * ما بَعَثَ الله نَبِيًّا إلا رَعَى الْغَنَمَ فقال أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فقال نعم كنت أَرْعَاهَا على قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ " [(١)] .

ومن نماذج الشباب الذين رعوا الغنم ما ذكره القرآن الكريم من قصة (ابنتي نبي الله شعيب عليه السلام) ، قال تعالى {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } [القصص: ٢٣ – ٢٦] ولنا من آيات هذه القصة إفادات عدة :

**الأولى** : مشروعية خروج المرأة للعمل [(٢)]، متى احتيج إليها ، حتى لو كان العمل شاقا ، فهي جزء من البيت ، كما أنها جزء من المجتمع ، وفي قول الفتاتين (وأبونا شيخ كبير) إشارة إلى سبب خروجهما للعمل ، قال البيضاوي : " (وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ) : كبير السن ، لا يستطيع أن يخرج للسقي ؛ فيرسلنا ؛ اضطراراً." [(٣)].

(١) صحيح البخاري - كتابٌ فِي الْإِجَارَةِ بَابُ رَعْيِ الْغَنَمِ عَلَى قَرَارِيطَ (٢/ ٧٨٩).
(٢) وهذا موافق لما في شرعنا ، فقد ثبت في كتب السنن أن كثيرا من نساء الصحابة كن يشاركن أزواجهن في العمل ، ويخرجن للجهاد ، ويتصدقن من أموالهن .
(٣) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٧٥)

**الثانية :** تعبير القرآن الكريم ب(امرأتين) –رغم أنهما كانتا (فتاتين)– له مدلول جسدي ، وآخر عقلي ،

**أما مدلوله الجسدي :** فالمعلوم أن كلمة (المرأة) تطلق –في الغالب– على من تطيق الزواج، أو تزوجت فعلا ، ويدل على ذلك أن غالب استعمالها في القرآن الكريم جاء بالإضافة ، مثل : (امرأة نوح وامرأة لوط) (امرأة فرعون ) (امرأة العزيز) (وامرأته حمالة الحطب) (وامرته قائمة فضحكت) وهي بذلك تشير إلى أن كلمة (المرأة) لا تطلق إلا على من بلغت سن الزواج ، وبدايته في مرحلة الشباب .

**وأما مدلوله العقلي :** فبيانه أن كلمة (المرأة) مأخوذة من (المروءة) " والمروءة كمال الرجولية، وقد مرؤ الرجل وتمرأ : إذا تكلف المروءة ، وهو مريء بين المروءة " [1] وقد استعملها القرآن الكريم مع الإناث قسيما لوصف (الرجولة) في الذكور ، قال تعالى : (فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) وقال تعالى (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ..) فإذا كان وصف الرجولة يستعمل وصفا لمن كمل عقله من الذكور ، فإن إطلاق لفظ (المرأة) يستعمل –في السياق ذاته– على من كمل عقله من الإناث ، ويشهد لذلك الوصف المذكور في آية سورة البقرة : (ممن ترضون من الشهداء) !! قال ابن منظور : "وفي حديث علي ، كرم الله وجهه ، لما تزوج فاطمة ، رضوان الله عليهما : قال له يهودى ، أراد أن يبتاع منه ثيابا ، لقد تزوجت امرأة ، يريد امرأة كاملة، كما يقال فلان رجل ، أي كامل في الرجال" [2] .

ومعلوم أنهما لم تستحقا هذا الوصف إلا بما حصلتاه من صفات حميدة وأخلاق حسنة ، هي أثر لنشأتهما في بيت صالح أولا ، ثم لعملهما في مجال الرعي ثانيا .

**الثالثة :** ضرورة التزام المرأة بالضوابط الشرعية متى خرجت من بيتها للعمل أو لغيره ،

---

(١) العين (٨/ ٢٩٩) باب الراء والميم ..
(٢) لسان العرب (١/ ١٥٦) .

يدل على ذلك موقف الفتاتين الذي ذكره القرآن الكريم في القصة ، قال تعالى (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) أي : " حتى تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال" [١] " وهذا على القراءة بضم الياء وكسر الدال، "وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر: «يَصْدُرَ» بفتح الياء وضم الدال، أي: حتى يرجع الرّعاء"[٢].

كما يدل على ذلك قوله تعالى (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) روى ابن كثير بإسناده عن عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَائِلَةً بِثَوْبِهَا على وجهها، ليست بسلفع من النساء دلاجة ولاجة خراجة. هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ " [٣]. قلت : لأن الغرض من خروجها للعمل مشاركة الرجل في الكسب ، ومشاركة الرجال في النهضة بالوطن ، فإذا خرجت على غير هذا النحو كانت فتنة لمن يراها، فيضيع –بسببها– كثير من القيم التي يراد ترسيخها في الشباب كالعفة والأمانة .

**الرابعة** – وهي من تمام القول– : ذكاء المرأة وفراستها وحسن تقديرها ، فالفتاة هي التي رشحت موسى صلى الله عليه وسلم بقولها ( يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) وقد أخذ أبوها برأيها ، وعرض على موسى الزواج منها على مهر معلوم (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ) مما يدل على أن المراد ب(نقصان العقل) الذي وصفت به النساء في الحديث المعروف ليس المراد منه أنهن أقل حكمة وذكاء من الرجل، بدليل ما ورد في الحديث (ما رأيت من ناقصات عقل أغلب لذوي الألباب منكن)!! فهن –على نقصان عقلهن– يغلبن الرجال بالتفكير والحيلة !! فكيف يكن أقل ذكاء منهم ؟!! "والألباب جمع اللب وهو العقل الخالص من شوب الهوى وفيه مبالغة لأنه

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٧٥).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٧٩).
(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/ ٢٠٥).

إذا كان ذو اللب والرأي مغلوبا فغيره أولى" [1] كما أن الوصف المذكور ليس حكما على سائر أحوالهن ، بل المراد به حال معينة ، وهي حال الشهادة ، كما جاء النص عليها في الحديث (قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى يا رسول الله ، قال : فذلك من نقصان عقلها ) [2] وبدليل آخر أن (نقصان الدين) المذكور في الحديث ذاته لا يدل على أن النساء أقل تدينا والتزاما من الرجال .

**ثالثا : الشباب المبدع**

قسم الله المواهب والعقول بين الخلق كما قسم الأرزاق بينهم ، وأفضل الأرزاق عقل يهتدي به المرء إلى ربه ، ويرشد به إلى خطئه وصوابه ، ويعين به أمته على الإبداع والابتكار ، والتطور وتجاوز المحن والأزمات .

وفي مجتمعنا المعاصر استحدثت وظائف تقوم على ابتكار أفكار جديدة من شأنها تطوير المؤسسات –والأوطان تبعا لذلك– وتنميتها بشكل أسرع ، فنجد وظيفة (خبير/ مستشار / مدير فني .. الخ) وهو أمر له أصالته التاريخية ، فقد سخّر الكفار خبراءهم ومفكريهم قديما لتعميق السير في الاتجاه نفسه –أي اتجاه الكفر والعناد– ولإزالة المعوقات. فاستخدموا الشعراء للهجاء، والمفكرين لابتكار الأوصاف المنفرة من الرسول، قال تعالى حكاية عن بعض مفكريهم: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر:١٨–٢٥].

لذلك أبرز القرآن الكريم عناية بالعقول المفكرة ، وحث الناس على ضرورة تنوير العقل والانتفاع به في كل خير ، فكان أول ما نزل من القرآن (اقرأ) وثاني ما نزل

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٠٠).
(٢) «صحيح البخاري كِتَابُ الشَّهَادَاتِ بَابُ شَهَادَةِ النِّسَاءِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ} (٣/ ١٧٣ ط السلطانية) .

قسم ب(القلم وما يسطرون) ، وكان أن جعل سبحانه (الفكر) في القرآن درجات ، فعبر عنه بأفعال مختلفة مثل (يعقلون –يعلمون– يتفكرون– يتفقهون– يتدبرون– يبصرون) ، وتبعا لذلك أقام العلماءَ منه سبحانه مقاما عظيما ، فقال (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وأقامهم من رسوله صلى الله عليه وسلم مقام الوارث الذي لا يُحجَب ، وجعلهم (ورثة الأنبياء) فقال (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ..) ثم كان من الله سبحانه أن ذكر لنا قصصا في كتابه عن علماء شباب سخروا علمهم لخدمة أوطانهم وشعوبهم ، من هؤلاء :

**موسى والخضر عليهما السلام ،**

قص القرآن الكريم علينا قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح ، وهما عالمان – بل كانا أعلم أهل زمانهما– وذلك في آيات من سورة الكهف ، بدأت من قوله تعالى (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ) إلى قوله تعالى (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) وسأكتفي من دروس هذه القصة بالوقوف عند مشهد واحد ، كررته آيات القصة ثلاث مرات بقوله تعالى (فانطلقا) [(١)] !!!

قال تعالى {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا } [الكهف: ٧١]

وقال تعالى {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ } [الكهف: ٧٤]

وقال تعالى {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ } [الكهف: ٧٧]

**أول وقفة** مع هذا المشهد المتكرر أن أحدا منهما لم يبق في مكانه ، وانتظر مثول الناس بين يديه وإقبالهم عليه ؛ ليفيدوا من علمه ، لكنهما (انطلقا) أي : تحركا بعلمهما ليصلا به إلى كل من يمكنهما الوصول إليه ؛ فعبرا في ذلك البحر، وسارا في دروب الأرض، ونزلا أماكن لم يعرفاها، وتعاملا مع عادات لم يألفاها ! وهذا درس بليغ لكل من علمه الله علما أن يبينه للناس ولا يكتمه ، قال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

(١) في الآيات : ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧ .

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} [آل عمران: ١٨٧] وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] فما أحوج الشباب من طلاب العلم اليوم أن ينطلقوا بعلمهم ليبلغوا للناس ما علمهم الله سبحانه .

**الوقفة الثانية** : أن في (انطلقا) معنى القوة في الحركة ، والعزم في السعي والوضوح في القصد .. فلم تكن حركتهما حركة كسلان ، أو مكره ، بل كانت حركة ذاتية قوية واضحة ، وهذا ما يجلب الإنسان ثمرة حقيقية من عمله وحركته حتى لو لم يجن من ورائها شيئا !! فيكفيه أنه أدى ما عليه تجاه أمر ربه ؛ فأمسى مطمئن النفس مرتاح الضمير .

**الوقفة الثالثة** : أن في كل انطلاقة من الثلاث المذكورة عملا إصلاحيا ، بدرء مفسدة أو جلب مصلحة ، وهذا ما أظهره المولى سبحانه على لسان الخضر ، حين نبأ موسى عليهما السلام بالحكمة من وراء ما فعل ، قال تعالى {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا } [الكهف: ٧٩ – ٨٢] وفي هذا درس آخر للعلماء أن يكونوا ذوي أثر إصلاحي في حياة الناس ، ليسوا مجرد ناقلين للعلم إنما يعملون بما علموا؛ لأن العلم بلا عمل حجة على صاحبه ، ويستجلب غضب الله على العبد ، قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٢، ٣] .

**الوقفة الرابعة** : أن الانطلاقة لم تكن مرة واحدة ، بل كانت متكررة ، وكأن الانطلاقة الواحدة لا تسقط الفرض ، ولا تقوم بها حجة العبد على ربه سبحانه ، فالواجب على كل عالم أن يسارع إلى إصلاح ما يراه فاسدا ، وبذل جهده في ذلك ، مرة وأخرى ؛ حتى يعذر إلى الله سبحانه .

**الوقفة الخامسة** : أن الأعمال التي قاما بها لم تكن مجرد نصائح وعظية، بل قاما بأعمال (حرفية)، فكان لدى الخضر علم بكيفية صنع السفينة ، فاختار أن يحدث فيها خرقا (يشينها ، ولا يغرقها) يشينها ؛ لئلا يطمع بها الملك الغاصب،

ولا يخرقها ؛ ليحفظ على المساكين رأس مالهم !!

ولا يحدث مثل هذا الخرق إلا عالم بأصول صنع هذه السفينة !!

كما كان لديه علم بفنون البناء ، فلما أبصر جدار الغلامين –كأنه رأى به ميلا، لا يراه إلا خبير– وعلم أنه سيسقط ، فأعاد بناءه !!

وفي هذا درس آخر للعلماء أن تكون لديهم مهارات شخصية متعددة ، حتى تكون حاجة الناس إليهم أكثر ، ونفعهم منهم أكبر .

**الوقفة السادسة** : أن هذه الجولة من هذين العالمين اهتمت بكل المراحل العمرية ، فأهل السفينة المذكورون في القصة الأولى ، كانوا شبابا ، وهذا مستفاد من كونهم كانوا (يعملون في البحر) ولا يقوم بهذا العمل –في الغالب– إلا شباب ، ووالدا الغلام في القصة الثانية ، كانا عجوزين –على الأرجح – والغلامان اليتيمان في القصة الأخيرة كانا طفلين ،

وبذا ؛ استفاد من علمهما كل المراحل العمرية (الشباب والعجائز والأطفال) .

**والوقفة الأخيرة** : أنهما لم يميزا في عملهما بين فئة وأخرى ،

فلم تنقل آيات القصة عن أهل السفينة سوى أنهم كانوا (مساكين يعملون في البحر) لم تذكر دينهم ولا مكانهم !!

ولم تذكر آيات القصة عن أهل القرية سوى أنهم كانوا بخلاء ، ولا عن الغلامين سوى أنهما كانا (غلامين يتيمين) ولم تذكر دينهم ولا مكانهم ،

وهذا درس آخر للعلماء ألا يخصوا بعلمهم فئة دون فئة ، فالعلم ينبغي أن يكون مبذولا لكل من يحتاج إليه .

وهذه كلها جوانب إبداع ، نحتاج إليها في التحرك بالعلم عموما –وليس العلم الشرعي فقط– ليفيد الناس منه ، ولينتفع المجتمع به ، وليرقى به الوطن ويتبوأ مكانته بين سائر الأوطان .

## الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه وبعد ، فقد **انتهيت في هذا البحث إلى عدة نتائج** ، أبرزها :

- أولا : مرحلة الشباب تبدأ من مرحلة الغلمة ، وتمر بمرحلة البلوغ ومرحة القوة، وتستمر حتى مرحلة الفتوة .
- ثانيا : عظيم اهتمام القرآن الكريم بالشباب وتكليفهم بمهام عظام من أجل أمتهم ووطنهم.
- ثالثا : عظم دور الشباب تاريخيا ، وتنوعه في خدمة الوطن .
- رابعا : الإفادة من طاقات الشباب في شتى المجالات ، شرط أساسي للنهوض بالمجتمعات والأوطان .
- خامسا : (العلم والحلم والقوة والعفة والأمانة) صفات أساسية لابد من تأهيل الشباب عليها ؛ حتى يضطلع بمهامه .
- سادسا : حاجة الوطن والأمة إلى عمل الشباب في كافة المجالات، فليس مجال أولى من آخر.
- سابعا : لم يقتصر القرآن الكريم على تسجيل مواقف للشباب فقط بل سجل مواقف ومهمات للفتيات كذلك ؛ مما ينبه على ضرورة إشراك المرأة بدور في نهضة الوطن .

**التوصيات :**

وهذه أهم التوصيات :

- ضرورة الإفادة من شباب الباحثين في تحقيق كتب التراث ؛ باعتبارها مهمة ثقيلة ، تحتاج قوة وعزما .

- ضرورة توظيف المقررات الدراسية في المرحلة الإعدادية وما بعدها للاهتمام بالشباب نظريا وعمليا.
- ضرورة اهتمام الدولة بتأهيل الشباب علميا وصحيا وفكريا ، وتحصينهم ضد الأفكار المنحرفة التي تناهض الاستقرار وتمنع رقي الأوطان .
- ضرورة الاستعانة بالشباب في مجالات العمل المختلفة إلى جانب الكبار ، ليفيدوا من خبرات الكبار ، وليستعين بهم الكبار في تنفيذ ما يحتاج إلى قوة وعزيمة.

**والحمد لله أولا وآخرا**

## المراجع والمصادر

١. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق سالم محمد عطا-محمد علي معوض- الناشر دار الكتب العلمية بيروت- ٢٠٠٠م

٢. الإفصاح عن معاني الصحاح - يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت ٥٦٠هـ) - المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد- الناشر: دار الوطن سنة : ١٤١٧هـ

٣. الأمالي =المؤلف: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت ٣٥٦هـ)عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي الطبعة: الثانية: دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م

٤. البرهان في علوم القرآن- لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الناشر دار المعرفة سنة ١٣٩١هـ

٥. البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق فوزي عطوي - الناشر دار صعب بيروت

٦. تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - تحقيق مجموعة من المحققين - الناشر دار الهداية

٧. التاريخ الكبير- للبخاري (ت ٢٥٦) تحقيق السيد هاشم الندوي - الناشر دار الفكر

٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا (ت ١٣٥٣ ) الناشر دار الكتب العلمية بيروت .

٩. التعريفات علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت ٨١٦) تحقيق إبراهيم الأبياري - الناشر دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٥.

١٠-تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم = محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت : ٣٢٧هـ) - المحقق: أسعد محمد

الطيب – الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية –الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

١١– تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل – لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت : ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الطبعة:الأولى : دار الأرقم – بيروت – ١٤١٦ هـ.

١٢– تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد –الناشر دار الكتب العلمية بيروت– سنة النشر ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

١٣–تفسير ابن فورك – العلَّامة / أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك (المتوفى ٤٠٦).

١٤– تفسير ابن كثير – اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – المحقق: محمد حسين شمس الدين –الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ.

١٥– تفسير الإمام الشافعي – محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)– جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) – الطبعة الأولى : دار التدمرية– السعودية–: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م.

١٦– تفسير البحر المحيط في التفسير – لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) – المحقق: صدقي محمد جميل –الناشر: دار الفكر – بيروت – الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٧– تفسير البسيط – لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) –المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه –الناشر:

عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

١٨- تفسير البغوي =معالم التنزيل في تفسير القرآن – لمحيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي – الطبعة : الأولى: دار إحياء التراث العربي –بيروت – ، ١٤٢٠ هـ.

١٩- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) –المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٢٠- تفسير التحرير والتنوير = «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) – الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس – سنة : ١٩٨٤ هـ .

٢١- تفسير التستري – أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي – المحقق: محمد باسل عيون السود – الطبعة: الأولى: دارالكتب العلمية – بيروت – – ١٤٢٣ هـ .

٢٢- تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور – دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .

٢٣- تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) المحقق:محمد علي شاهين – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

٢٤- تفسير درج الدرر في تفسير الآي والسورلعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت : ٤٧١) الطبة الأولى – دار الحكمة – سنة ١٤٢٩ هـ.

٢٥- تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – لشهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت : ٧٥٦هـ) – المحقق: د / أحمد محمد الخراط – الناشر: دار القلم، دمشق .

٢٦- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الطبعة: الثالثة: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٠ هـ .

٢٧- تفسير الزمخشري= الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)- الطبعة الثالثة- دار الكتاب العربي- بيروت – ١٤٠٧ هـ .

٢٨- تفسير السمرقندي = بحر العلوم – لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) تحقيق د.محمود مطرجي – الناشر دار الفكر – بيروت د.ت .

٢٩- تفسير السمعاني – أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني(ت ٤٨٩هـ ) تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم – الناشر دار الوطن – الرياض – سنة ١٤١٨هـ-

٣٠- تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن – لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ .

٣١- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي، د.محمود عثمان- الطبعة الثانية دار الحديث بالقاهرة – ١٤١٦ هـ .

٣٢- تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) - المحقق: د. مجدي باسلوم - الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٦ هـ .

٣٣- تفسير الماوردي = النكت والعيون -لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) -المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

٣٤- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت : ٧١٠ هـ) تحقيق : يوسف علي بديوي ، محيي الدين ديب مستو ، الطبعة الأولى - دار الكلم الطيب -بيروت- ١٤١٩ هـ .

٣٥- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه - المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي - الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة- الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٣٦- تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي - الطبعة: الأولى: دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

٣٧- تفسير زاد المسير في علم التفسير- لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت ٥٩٧) طبعة المكتب الإسلامي -بيروت ، ١٤٠٤هـ.

٣٨- تفسير لباب التفاسير- للكرماني : أبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني، المتوفى بعد سنة (٥٣١ هـ) – التحقيق: أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

٣٩- تفسير لطائف الإشارات = لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) – المحقق: إبراهيم البسيوني – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – الطبعة: الثالثة .

٤٠- تفسير معاني القرآن وإعرابه – لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ) – المحقق: عبد الجليل شلبي –الطبعة: الأولى: عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٤١- تهذيب اللغة للأزهري – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) – تحقيق محمد عوض مرعب – الناشر: دار إحياء التراث العربي – سنة ٢٠٠١م – بيروت .

٤٢- التيسير بشرح الجامع الصغير .

٤٣- الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي(ت ١٠٣١هـ) – الناشر مكتبة الإمام الشافعي – الرياض- سنة ١٤٠٨هـ .

٤٤- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم – لمحمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ )تحقيق د. علي حسين البواب –الناشر دار ابن حزم – بيروت – سنة ١٤٢٣هـ .

٤٥- جمهرة اللغة لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) تحقيق رمزي منير بعلبكي – الناشر دار العلم للملايين بيروت – سنة النشر ١٩٨٧م .

٤٦- الدلائل في غريب الحديث – لقاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي، أبو محمد (ت ٣٠٢هـ) – تحقيق: د. محمد القناص – الطبعة: الأولى: مكتبة العبيكان، الرياض ، ١٤٢٢ هـ .

٤٧- سنن أبي داود- لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي(ت ٢٧٥) – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر.

٤٨- سنن النسائي الكبرى – لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣ ) تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن –الناشر دار الكتب العلمية بيروت –سنة ١٤١١ هـ .

٤٩- شرح ابيات مغني اللبيب – المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ هـ – ١٠٩٣ هـ)- المحقق: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف – الطبعة الثانية- دار المأمون للتراث، بيروت (١٤١٤ هـ) .

٥٠- شرح الزرقاني على موطأ مالك – محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني(ت ١١٢٢) الناشر دار الكتب العلمية بيروت – سنة ١٤١١ .

٥١- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية -لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب –الطبعة: الأولى- مؤسسة الرسالة، بيروت – ١٤٢٧ هـ .

٥٢- شرح صحيح البخارى لابن بطال – أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) – تحقيق: ياسر بن إبراهيم – الطبعة الثانية- مكتبة الرشد – الرياض- ١٤٢٣هـ .

٥٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- طبعة رابعة- دار العلم للملايين- بيروت – ١٩٨٧ م .

٥٤- صحيح البخاري : لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي – تحقيق: جماعة من العلماء –الطبعة: السلطانية، بولاق مصر، ١٣١١ هـ .

٥٥- صحيح مسلم – لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)–المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ .

٥٦- الطبقات الكبرى – لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري(ت : ٢٣٠ هـ) الناشر دار صادر – بيروت .

٥٧- العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ ) تحقيق د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي –الناشر دار ومكتبة الهلال .

٥٨- غريب الحديث – لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان(ت ٣٨٨ ) تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي – الناشر جامعة أم القرى– مكة المكرمة –سنة ١٤٠٢هـ .

٥٩- القاموس المحيط – محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت ٨١٧ ) الناشر مؤسسة الرسالة بيروت .

٦٠- قبول الأخبار ومعرفة الرجال – مؤلف: أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي (ت ٣١٩ هـ) –المحقق: أبو عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .

٦١- لسان العرب – لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١) الناشر دار صادر– بيروت .

٦٢- المحكم والمحيط الأعظم- لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت ٤٥٨هـ ) تحقيق عبد الحميد هنداوي – الناشر دار الكتب العلمية –بيروت – سنة ٢٠٠٠م .

٦٣- المحيط في اللغة – المؤلف: كافي الكفاة، الصاحب، إسماعيل بن عباد (٣٢٦ – ٣٨٥ هـ)- المحقق: محمد حسن آل ياسين – الطبعة الأولى –عالم الكتب، بيروت – ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٦٤- مختار الصحاح – لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) – المحقق: يوسف الشيخ محمد – الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا – الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٦٥- المستدرك على الصحيحين – مؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ .

٦٦- المستطرف في كل فن مستطرف – لشهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (ت ٨٥٢هـ) – الناشر: عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ .

٦٧- مسند أبي يعلى- لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) –المحقق: حسين سليم أسد [ت ١٤٤٣ هـ] –الطبعة: الأولى: دار المأمون للتراث – دمشق ، ١٤٠٤ .

٦٨- المعارف – المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)- تحقيق: ثروت عكاشة – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٩٩٢ م .

٦٩- المعلم بفوائد مسلم – للإِمَامْ أَبِي عَبْد اللهِ مُحمَّد بن علي بن عُمر المِازري( ت ٥٣٦هـ ) تقديم وتحقيق –فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر – الطبعة الثانية – التونسية للنشر تونس .

٧٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم- مؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ – ٦٥٦ هـ) –حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال – الناشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

٧١- مقاييس اللغة – المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) – المحقق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر – ١٣٩٩هـ .

٧٢- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل – للإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ٦٢٧ . ٧٠٨ هـ – دار الكتب العلمية . بيروت .

٧٣- موطأ مالك – للإمام مالك بن أنس – صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – عام النشر: ١٤٠٦ هـ .